



تشيب جيتقارا

صورة.. تروي أسطورة



الطبعة الأولى



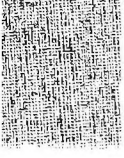
دار ابن النفيس



في تاريخ كل أمة رجال عظماء
قادوا النضال والكفاح في سبيل
تحرير أوطانهم والوصول بها إلى
بر الأمان... واستطاعوا بما لديهم
من قدرات خاصة وموهبة في
القيادة وشجاعة وإقدام أن يحققوا
أهداف وطموحات شعوبهم، وأيضاً
نجوم ومشاهير قدموا الكثير
وحفروا أسماءهم في ذاكرة
الناس وصفحات التاريخ كل في
محاله، فنالوا كل تكريم واحترام
وحفظهم التاريخ في ذاكرته

تشيب حيفارا

صورة.. تروي أسطورة



دار ابن النفيس للدعاية والنشر والتوزيع
ص ب : 3111 حولي - 32032 الكويت
هاتف وفاكس : 0096597914680 - 0096550775525
email:salahabudayah@hotmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناسر وكل اقتباس أو
تقليد أو تزيف أو إعادة طبع الكتاب أو نشره عبر
وسائل الانترنت المختلفة دون إذن خطي من الناسر
يعرض نفسه للمساءلة القانونية.

الطبعة الأولى - 2016

رقم الإيداع: 19482-2016
الترقيم الدولي: 9789775051431



جيفارا المتمرد دائماً الناش
على الظلم مهما كانت العواقب و
مهما كان جبروت الظالم لا يرتبط
بمكان أو جماعة ففضيحه انسانية
وهي مساعدة المظلومين بغض
النظر عن أي شيء آخر يروي جيفارا في
مذكراته نواحي عديدة غير مشهورة
في حياته مثل مهنته كطبيب و
فترة طفولته وشبابه وكذلك عندما
انتصرت الثورة الكوبية وعندما تم
تعيينه كوزير ثم تخليه عن ذلك و
عودته لمناصرة المظلومين.





الموت ينام بالقرب من أحلامه

”سأقضي ما تبقى من أيام حياتي أبحث عن جثته . في كل مكان : في كوبا في فنزويلا ، في بوليفيا ، لا يهم . فأنا لا أصدق انهم استطاعوا القضاء عليه وأنا لا اصدق انه مات ولا أصدق انهم أحرقوه .“

لم يصدق الوالد أنه مات كان يتصور أن الموت يهرب من تشي وأنه سئم مطار دته .

وكان الموت بالنسبة الى ”تشي“ الحقيقة اليومية يرافقه خطوة خطوة كالربو والزفير والشعلة المتململة والنوم . كان ينام بالقرب من أحلامه ، يشاطره في أحلامه ، ينافس في أحلامه .

مرة ، قال لرفيق له كان يقاتل بجانبه في الادغال ، والرصاص ينهال عليهما: -”أتدري كيف اتمنى ان أموت ؟كما تمنى قصة بطل ”جاك لندن” . ادرك انه سيجمد حتى الموت في أراضي الاسكا البيضاء المقفرة ، فاستند بهدوء الى شجرة ، واستعد لمواجهة الموت بصمت وكبرياء . كم اتمنى الان لو استريح على جذع شجرة ، ليهذا الزفير داخلي ، وأموت ، بعد ان أفرغ رصاص بنديتي في الجنود القادمين من وراء هذه الأشجار .“ كان ذلك سنة 1957 ، قبل الدخول الى المدينة والانتصار .

ومرة ، قال لكاسترو ، في الرسالة الاخيرة التي وجهها اليه:

- ذات يوم ، سنلنا عن الشخص الذي ينبغي انذاره ام اعلامه عند موت أحدا .

وفوجئنا جميعا بهذه الامكانية الحقيقية . ثم ادركنا ان الثائر الحقيقي ”اما أن ينتصر او يموت . وكثيرون سقطوا في طريق النصر الطويل .“ كان ذلك سنة 1965 .



ومرة ثالثة ، قال في البيان الثوري الذي وزعه في نيسان 1967 :
-“ لا يهمني متى واين سأموت .”

لكن يهمني ان يبقى الثوار منتصبين ، يملؤون الارض ضجيجا ، كي
لا ينام العالم بكل ثقله فوق اجساد البائسين والفقراء والمظلومين .
ثم سقط أخيرا في الخريف ، مع سقوط أوراق الاشجار التعبه .

لكنه لم يحقق امنيته التي ردها امام صديق له في فترة النضال الاولى :
لم يمت وهو مستند الى الشجرة ، بل سقط مجذلا في واد صغير ضيق ،
بتسع رصاصات ، ربما أقل ،ربما أكثر . والتقطوه وحملوه ووضعوه
على طاولة عالية ،ثم قالوا للصحافيين والمصورين والعالم أجمع :
”- هذا هو ”تشى“ جيفارا . لقد انتصرنا عليه .”



اقتدار



جيفارا الانسان

يقف المرء حائرا عن الثائر الأسطوري أرنستو تشي جيفارا (ولد في 14 يونيو 1928). ستصاب بالذهول بالتأكيد إذا كتبت كلمة "سير جيفارا" في محرك بحث المكتبة البريطانية؟ آلاف الكتب والمقالات الأكاديمية وغير الأكاديمية التي تتناول أوجه حياته من زوايا مختلفة. البعض مكتوب بلغة اسرة لكنها بسيطة مثل كتاب أندرو سينكلير والبعض مكتوب بلغة معقدة مثل "أرنستو تشي جيفارا: الأخلاق وجماليات الوجود"

هذا التضخم في الكتابة عن جيفارا سببه أنه رجل استثنائي. فجيفارا وفقا لجان بول سارتر "ليس فقط مثقفا ولكنه الإنسان الأكمل في عالمنا". لذلك فإن الأمر يتطلب "ألف سنة ومليون صفحة لكتابة سيرة تشي"، كما قال جابر بيل جارسيا ماركيز.



الوقت
التي



المقدمة

تشى جيفارا، الثوري الطبيب
الكاتب وزعيم حرب العصابات
والقائد العسكري وأشهر
شخصية في الثورة الكوبية...
أصبحت صورته رمزا في
كل مكان وشارة عالمية
ضمن الثقافة الشعبية للنضال
الثوري.

جيفارا المتمرّد دائما الثائر
على الظلم مهما كانت العواقب
و مهما كان جبروت الظالم
لا يرتبط بمكان أو جماعة
فقضيته انسانية وهي مساعدة
المظلومين بغض النظر عن
أي شئ آخر يروي جيفارا في
مذكراته نواحي عديدة غير
مشهورة في حياته مثل مهنته
كطبيب و فترة طفولته و شبابه
و كذلك عندما انتصرت الثورة
الكوبية و عندما تم تعيينه
كوزير ثم تخليه عن ذلك و
عودته لمناصرة المظلومين.





ارنستو "تشي" جيفارا "ثوري كوبي ماركسي ولد في الأرجنتين طبيب وقائد عسكري وشخصية رئيسية في الثورة الكوبية. أصبحت صورته المأخوذة منذ وفاته رمزاً في كل مكان وعلامة عالمية ضمن الثقافة الشعبية التي تدل على الثائر والثورة. سافر جيفارا عندما كان طالباً في كلية الطب لجميع أنحاء أمريكا اللاتينية مع صديقه على متن دراجة، وكونت تلك الرحلة شخصيته وإحساسه بالظلم الكبير الواقع من الإمبرياليين على المزارع اللاتيني البسيط، وتغير داخلياً بعد مشاهدة الفقر المتفشي. كان جيفارا يرى أن الحل الوحيد لحل مشاكل الإنسان الفقير هو الثورة العالمية على الفقر والجهل والمستبدين. قرر جيفارا الانضمام للثورة الكوبية، ورأى فيدل كاسترو الثائر الكوبي أنه في أمس الحاجة إلى جيفارا كطبيب وسرعان ما برز دور جيفارا بين المسلحين حتى تمت ترقيته إلى الرجل الثاني في القيادة، ولعب دوراً محورياً في نجاح الثورة على مدار عامين من الحرب المسلحة التي أطاحت بنظام باتيستا. وقد تم إغتيال جيفارا على يد فرقة من الجيش البوليفي على يد جندي يدعى ماريو عندما كان يكافح ضد الظلم والجهل والفقر هناك وقد كان الجندي يعلم أنه بصدد إعدام أسطورة وكان في شدة الخوف على الرغم من أن جيفارا كان أعزل ومصاب 'إلا أن جيفارا قال له : أطلق النار، لا تخف؛ إنك ببساطة ستقتل مجرد رجل' ومن أشهر مقولاته التي سُطرت بحروف من نور : "الثورة قوية كالفضولاذ، حمراء كالجمر، باقية كالسنديان، عميقة كحبنا الوحشي للوطن.. إنني أحس على وجهي بالم كل صفة توجّه إلى مظلوم في هذه الدنيا، فأينما وجد الظلم فذاك هو وطني" "لا يستطيع المرء أن يكون متأكداً من أنه هنالك شيء يعيش من أجله، إلا إذا كان مستعداً للموت في سبيله ."



جيفارا

تاريخ الميلاد: 14 يونيو 1928

مكان الميلاد: روساريو، الأرجنتين

تاريخ الوفاة: 9 أكتوبر 1967 (العمر: 39 عاماً)

مكان الوفاة: لا هيفويرا، بوليفيا

ارنستو "تشيفارا" جيفارا (14 يونيو 1928 - 9 أكتوبر 1967)

المعروف باسم تشي جيفارا (Che Guevara)

أو التشي (El Che)

أو ببساطة تشي (Che)

(بالإسبانية: Ernesto <Che> Rafael Guevara de la Serna)

الجزيرة

خلفاء



ثوري كوبي ماركسي أرجينتينى المولد كما أنه طبيب، كاتب وزعيم حرب العصابات، قائد عسكري، رئيس دولة عالمي وشخصية رئيسية في الثورة الكوبية. أصبحت صورته المنمقة منذ وفاته رمزاً في كل مكان وشاره عالمية ضمن الثقافة الشعبية.

سافر جيفارا عندما كان طالباً في كلية الطب في جامعة بوينس آيرس الذي تخرج منها عام 1953. سافر لجميع أنحاء أمريكا اللاتينية مع صديقه ألبرتو غرانادو على متن دراجة نارية وهو في السنة الأخيرة من الكلية، وكونت تلك الرحلة شخصيته وإحساسه بوحدة أمريكا الجنوبية وبالظلم الكبير الواقع من الإمبرياليين على المزارع اللاتيني البسيط، وتغير داخلياً بعد مشاهدة الفقر المتوطن هناك.

أدت تجاربه وملاحظاته خلال هذه الرحلة إلى استنتاج بأن المنطقة متأصل بها التفاوتات الاقتصادية التي كانت نتيجة من الرأسمالية الاحتكارية والاستعمار الجديد والإمبريالية، كان جيفارا يرى أن العلاج الوحيد هو الثورة العالمية. هذا الاعتقاد كان الدافع وراء تورطه في الإصلاحات الاجتماعية في غواتيمالا في ظل حكم الرئيس جاكوبو أربينز غوزمان، الذي قامت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في نهاية المطاف بالمساعدة على الإطاحة به مما ساعد على نشر أيديولوجية جيفارا الراديكالية. بينما كان جيفارا يعيش في مدينة المكسيك التقى هناك براؤول المنفي مع أصدقائه الذين كانوا يجهزون للثورة وينتظرون خروج فيدل كاسترو من سجنه في كوبا، ما إن خرج فيدل كاسترو من سجنه حتى قرر جيفارا الانضمام للثورة الكوبية، ورأى فيدل كاسترو أنهم في أمس الحاجة إليه كطبيب، وانضم لهم في حركة 26 يوليو، التي غزت كوبا على متن غرانما بنية الإطاحة بالنظام الدكتاتوري المدعّم بالولايات المتحدة التي تدعم الديكتاتور الكوبي فولغينسيو باتيستا. سرعان ما برز جيفارا بين المسلحين وتمت ترقيته إلى الرجل الثاني في القيادة، ولعب دوراً محورياً في نجاح حملة على مدار عامين من الحرب المسلحة التي أطاحت بنظام باتيستا.



في أعقاب الثورة الكوبية قام جيفارا بأداء عدد من الأدوار الرئيسية للحكومة الجديدة، وشمل هذا على إعادة النظر في الطعون وفرق الإعدام على المدانين بجرائم الحرب خلال المحاكم الثورية، وقام بتأسيس قوانين الإصلاح الزراعي عندما كان وزيراً للصناعة وعمل أيضاً كرئيس ومدير للبنك الوطني ورئيس تنفيذى للقوات المسلحة الكوبية، كما جاب العالم كدبلوماسي باسم الاشتراكية الكوبية، مثل هذه المواقف سمحت له أن يلعب دوراً رئيسياً في تدريب قوات الميليشيات الذين صدوا غزو خليج الخنازير وجلبت إلى كوبا الصواريخ الباليستية المسلحة نووياً من الاتحاد السوفيتي عام 1962 التي أدت إلى بداية أزمة الصواريخ الكوبية، بالإضافة إلى ذلك كان جيفارا كاتباً عاماً ويقوم بكتابة يومياته وقام بتكوين ما يشبه الكتيب لحياة حرب العصابات وكذلك ألف مذكراته الأكثر مبيعاً في جميع أنحاء أمريكا الجنوبية رحلة شاب على دراجة نارية.

غادر جيفارا كوبا في عام 1965 بسبب التحريض على الثورات الأولى الفاشلة في لكونغو كينشاسا ومن ثم تلتها محاولة أخرى في بوليفيا، حيث تم إلقاء القبض عليه من قبل وكالة الاستخبارات المركزية بمساعدة القوات البوليفية وتم إعدامه، لا تزال شخصية جيفارا التاريخية تنال كل من التبجيل والاحترام، مستقطباً المخيلة الجماعية في هذا الخصوص العديد من السير الذاتية والمذكرات والمقالات والأفلام الوثائقية والأغاني والأفلام. بل وضمنته مجلة التايم من ضمن المائة شخص الأكثر تأثيراً في القرن العشرين، في حين أن الصورة المأخوذة من ألبرتو كوردا له بعنوان بطل حرب العصابات (كما هو موضح في قالب المقال)، قد سميت "بالصورة الأكثر شهرة في العالم».



جنتارا



طفولته



ولد لسييليا دي لا سيرنا وإرنستو جيفارا لينش أرنستو تشي جيفارا يوم 14 يونيو 1928 في روساريو في بالأرجنتين، وهو الأكبر بين خمسة أطفال في عائلة من أصول إيرلندية وأسبانية باسكية. يظهر اسمه القانوني (أرنستو تشي جيفارا) نسبة إلى ألقاب والديه في بعض الأحيان مع إضافة دي لا سيرنا أو لينش له.

في إسقاط الضوء على طبيعة تشي "الغير مستقرة"، ذكر والده أن "أول شيء يمكن أن نلاحظه هو أن ابني يجري في عروقة دمى المتمردين

الاييرلنديين". نمت في وقت مبكر جدا من الحياة أرنستيتو (كما كان يسمى جيفارا حينذاك) شعور التعاطف مع "الفقراء". بحكم نشأته في أسرة ذات الميول اليسارية كان جيفارا يتعامل مع طائفة واسعة من وجهات النظر السياسية، حتى في الوقت الذي كان فيه صبياً كان والده مؤيد قوي للجمهوريين من الحرب الأهلية الإسبانية وغالبا ما استضاف العديد من اللقائات بين قدامى المحاربين في منزل جيفارا.



انتقارا
نشیب





بالرغم من المعاناة من نوبات الربو الحادة التي كان يعاني منها طوال حياته، إلا أن جيفارا برع كرياضي وتمتع بالسباحة ولعب كرة القدم والجولف والرماية، بل أصبح أيضاً يقود الدرجات ولا يعرف الكلال ولا الملل. كان لاعباً متعطشاً في اتحاد الرجبي ويلعب في خط النصف لجامعة بوينس آيرس في الفريق الأول الخامس عشر. أثناء لعبه للركبي اكتسب لقب "فوزر" اختصاراً "لفوريونندو" التي تعني بالعربية (المشتعل) واسم عائلة والدته دي لا سيرنا، لأسلوبه العدواني في اللعب. لقبوه زملائه في المدرسة أيضاً "تشانكو" والتي تعني بالعربية (الخنزير) لأنه نادراً ما كان يستحم، وكان يرتدى قميص "الأسبوع".

تعلم جيفارا الشطرنج من والده، وبدأ في المشاركة في البطولات المحلية حين بلغ من العمر 12 عاماً. خلال فترة المراهقة وطوال حياته كان جيفارا متحمساً للشعر، وخصوصاً للشاعر لبابلو نيرودا وجون كيتس وأنطونيو ماتشادو وفيدريكو غارسيا لوركا وغابريلا ميسترال، سيزار فاييخو، والت ويطمان. وكان يمكنه اقتباس أبيات من الشعر لروديارد كبلنغ وأيضاً لخوسيه هيرنانديز عن ظهر قلب. كان منزل جيفارا يحتوي على أكثر من 3.000 كتاب وهذا ما سمح لجيفارا بأن يكون قارئ متحمس وانتقائي، حيث اهتم بالقراءة عن كارل ماركس ووليم فوكنر وأندريه جيد واميليو سالجارى وجولز فيرن. إضافة الى ذلك كان جيفارا يتمتع بقراءة أعمال جواهر لال نهرو وفرانز كافكا وألبير كامو وفلاديمير لينين وجان بول سارتر، وكذلك أناتول فرانس، فريدريك إنجلز، ويلز، وروبرت فروست.







عندما كبر أصبح يهتم بالقراءة للكتاب من أمريكا اللاتينية مثل هوراسيو كيروغا، سيرو ألجيريا، خورخي إيكازا، روبن داريو، وميغيل استورياس. قام جيفارا بتدوين أفكار العديد من هؤلاء الكتاب في كتاباته الخاصة بخط يده مع مفاهيمه وتعريفه، وفلسفات المثقفين البارزين من وجهه نظره. وقام أيضا بتأليف استكشافات تحليلية لبوذا وأرسطو، بجانب دراسته لبرتراند راسل عن المحبة والوطنية، والمجتمع من جاك لندن وفكرة نيتشه عن الموت. فتنت جيفارا أفكار سيغموند فرويد إذا أنه كان يقتبس عنه في مجموعة متنوعة من المواضيع مثل الأحلام والرغبة الجنسية النرجسية وعقدة أوديب. مواضيعه المفضلة في المدرسة شملت الفلسفة والرياضيات والهندسة والعلوم السياسية وعلم الاجتماع والتاريخ وعلم الآثار.

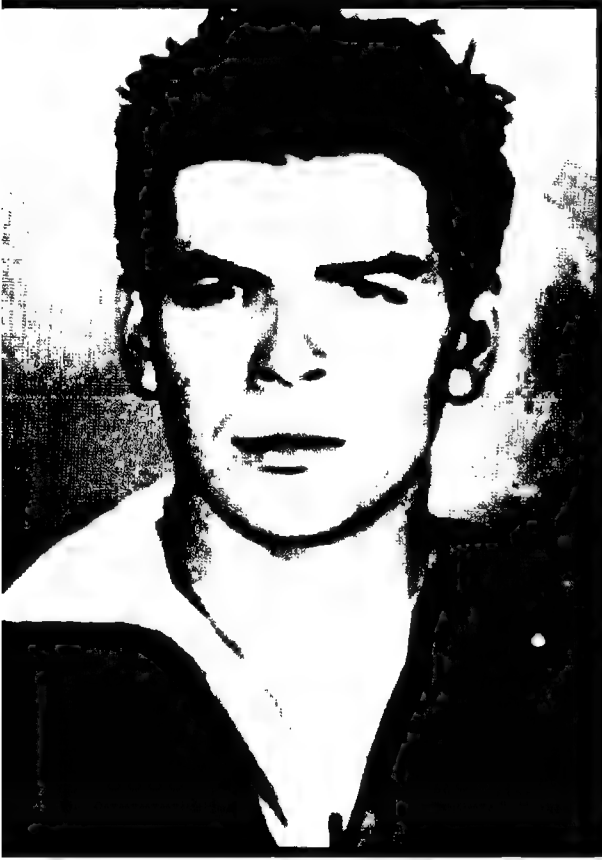
وفي 13 فبراير شباط عام 1958 نشرت وكالة المخابرات المركزية "السيرة الذاتية والتقارير الشخصي" السريين الذين أشارا إلى أن جيفارا كان يتمتع بخلفية متنوعة من الاهتمامات الأكاديمية والفكر، ووصفته بأنه "قارئ جيد" وعلقت "أن تشي متقف برغم من كونه من أصل لاتيني".



خلف
الافتار



رحلة الدراجة النارية



دخل جيفارا جامعة بوينس آيرس لدراسة الطب في عام 1948 ولكن في عام 1951 أخذ إجازة لمدة سنة من الدراسات للشرع في رحلة يعبر فيها أمريكا الجنوبية على الدراجة النارية مع صديقه أليبرتو غرانادو، كان الهدف النهائي يتمثل في قضاء بضعة أسابيع من العمل التطوعي في مستعمرة سان بابلو لمرضى الجذام في البيرو على ضفاف نهر الأمازون، في الطريق إلي ماتشو بيتشو التي تقع عالياً في جبال الأنديز، شعر جيفارا بالذهول لشدة فقر المناطق الريفية النائية، حيث يعمل الفلاحين في قطع صغيرة من الأراضي المملوكة من قبل الملاك الأثرياء.

في رحلته أبدى جيفارا إعجابه بالصدقة الحميمة بين أولئك الذين يعيشون في مستعمرات الجذام، قائلا "إنه أعلى أشكال التضامن البشري والولاء الذي ينشأ بين الناس في ظل الوحدة واليأس من هذا القبيل." استخدم جيفارا





المذكرات التي اتخذها خلال هذه الرحلة لكتابة كتاب بعنوان يوميات دراجة نارية والذي أصبح أفضل كتاب مبيعاً كما وصفته نيويورك تايمز، الذي نال لاحقاً جائزة في 2004 عن فيلم مقتبس منه يحمل نفس اسم الكتاب.

بحلول نهاية الرحلة وصل جيفارا لاستنتاج بأن أمريكا اللاتينية ليست مجموعة من الدول المنفصلة، ولكن اعتبرها كياناً واحداً يتطلب استراتيجية تحرير على نطاق القارة، مفهومه عن الولايات المتحدة لقارة أمريكا من أصل أسباني بلا حدود والتي تقاسم تراث لاتيني مشترك كان موضوعاً بارزاً تكرر خلال نشاطاته الثورية لاحقاً، لدى عودته إلى الأرجنتين أكمل دراسته وحصل على شهادة الطب في حزيران / يونيو 1953 مما جعله

رسمياً "الدكتور ارنستو تشي جيفارا". لاحظ جيفارا في أنه من خلال أسفاره إلى أمريكا اللاتينية انه وصل إلى استنتاج من وجود "اتصال وثيق بين الفقر والجوع والمرض" جنباً إلى جنب مع "عدم القدرة على علاج طفل بسبب عدم وجود المال" و "غيوبة استنزاف الجوع المستمر والعقاب" التي تؤدي بالأب إلى "قبول فقدان الابن على انه حادث غير مهم". كانت هذه التجارب التي يستشهد بها جيفارا تقنعه بأنه من أجل "مساعدة هؤلاء الناس" إلى انه يحتاج إلى ترك مجال الطب، والنظر في الساحة السياسية للبحث عن الكفاح المسلح.





جواتيمالا في حكم أربينز وشركة الفواكه المتحدة

انطلق جيفارا مرة أخرى في يوم 7 يوليو 1953 وهذه المرة إلى بوليفيا وبيرو والإكوادور وبنما وكوستاريكا ونيكاراغوا وهندوراس والسلفادور. وفي يوم 10 ديسمبر من عام 1953 قبل أن يغادر إلى غواتيمالا أرسل جيفارا خطاب لعنته بياتريس من سان خوسيه في كوستاريكا. في الرسالة تحدث جيفارا عن العبور خلال أملاك شركة الفواكه



المتحدة والذي ألقعه بالواقع "الرهاب" للرأسمالية "الأخطبوط". هذا السخط حمل نبره "الرغبة في الانتقام" الذي اعتمد عليه لإخافة المزيد من اقترابه المحافظين واستمر مع جيفارا حتى عندما أقسم على قبر جوزيف ستالين عندما توفي حيث أقسم أنه لن يرتاح حتى "يتم التغلب على هذه الأخطبوطات".

وصل جيفارا إلى غواتيمالا في نفس الشهر حيث كان الرئيس خاكوبو أربينز برأس حكومة منتخبة ديمقراطياً وكان يحاول من خلال إصلاح الأراضي وغيرها من المبادرات إلى وضع حد لنظام الإقطاع. لإنجاز هذا قام الرئيس أربينز ببرنامج لإصلاح الأراضي كبير، حيث أن جميع أجزاء الأراضي الغير مستزرعة ذات الحيازات الكبيرة كان من المقرر أن يتم مصادرتها وإعادة توزيعها على الفلاحين المعدمين، أكبر مالك للأراضي





وواحد من أكثر الملاك تضرراً من هذه الإصلاحات كانت شركة الفواكه المتحدة والتي قامت حكومة أربينز بالفعل بسحب أكثر من 225.000 فدان من ملكيتها. بعد شعوره بالرضا من الطريقة التي اتخذتها هذه الأمة، قرر جيفارا أن يستقر في غواتيمالا وذلك "لتهيئة نفسه وإنجاز ما قد يكون ضروريا من أجل أن يصبح ثوريا حقا".

في غواتيمالا سيأتي جيفارا للتعرف على هيلدا جاديا أكوستا وهي مواطنة من البيرو تعمل بالاقتصاد والتي كان لديها العديد من المعارف السياسية بوصفها عضواً في التيار اليساري في حزب التحالف الشعبي الثوري (أمريكانا). قامت بتعريف جيفارا على عدد من المسؤولين رفيعي المستوى في حكومة أربينز. بعد ذلك تعرف جيفارا على مجموعة من المنفيين الكوبيين المرتبطين بفيديل كاسترو عن طريق هجوم 26 يوليو 1953 على ثكنة مونكادا في سانتياغو دي كوبا واكتسب جيفارا لقبه الشهير خلال هذه الفترة نظراً إلى الاستخدام المتكرر للاختصار الأرجنتيني (تشي) وهي كلمة عامية عارضة يتم استخدامها على غرار (الرفيق) أو (صديق).



محاولات جيفارا للحصول على التدريب الطبي لم تكلل بالنجاح ووضع الاقتصاد في كثير من الأحيان كان يمنعه من هذا، وفي 15 مايو 1954 تم إرسال مجموعة من المشاة المحملين بمدافع سكودا والأسلحة الخفيفة من قبل تشيكوسلوفاكيا الشيوعية لحكومة أربينز حيث وصلت إلى "بويرتو باربوس"، نتيجة لذلك قامت وكالة المخابرات المركزية والأمريكية والجيش بغزو البلاد وتثبيت اليميني الديكتاتور "كارلوس كاستيو أرماس" في



الحكم. جيفارا كان تواقاً للقتال نيابة عن أربينز بل وانضم إلى الميليشيات المسلحة التي نظمتها الشبيبة الشيوعية لهذا الغرض، ولكنه شعر بالاحباط نتيجة لتقاعس الجماعة عن العمل وسرعان ما عاد إلى مهام الرعاية الطبية، وفي أعقاب الانقلاب تطوع للقتال مرة أخرى، لكن بعد فترة وجيزة لجأ أربينز إلى السفارة المكسيكية ونصح مؤيديه الأجانب بمغادرة البلاد، نداءات جيفارا المتكررة للمقاومة تمت ملاحظتها من قبل مؤيدي الانقلاب، وتم اعلان الرغبة في اغتياله. بعد إلقاء

القبض على هيلدا جاديا، سعى جيفارا للحماية داخل القنصلية الأرجنتينية حيث ظل هناك حتى حصل على تصريح الخروج الأمن. بعد ذلك ببضعة اسابيع انطلق في إلى المكسيك. تزوج جيفارا من هيلدا جاديا في المكسيك في سبتمبر من عام 1955. عملية التدخل للاطاحة بنظام أربينز عززت وجهة نظر جيفارا تجاه الولايات المتحدة باعتبارها القوة الاستعمارية التي من شأنها أن تعارض وتحاول تدمير أي حكومة تسعى لمعالجة عدم المساواة الاجتماعية والاقتصادية



المستوطنة في أمريكا اللاتينية وغيرها من البلدان النامية. كان جيفارا على اقتناع بأن تحقيق الماركسية لا يتم إلا من خلال الكفاح المسلح الذي يدافع عنه الشعب المسلح والطريق الوحيد لتصحيح مثل هذه الظروف وذلك بتعزيزها. هيلدا جاديا كتبت في أن "غواتيمالا هي التي أقنعتني أخيراً بضرورة الكفاح المسلح، وعلى أخذ زمام المبادرة ضد الامبريالية. عندما حان وقت الرحيل



مدينة مكسيكو والإعداد

وصل جيفارا إلى مدينة مكسيكو في مطلع سبتمبر 1954 وعمل في قسم الحساسية في المستشفى العام، إضافة إلى إلقاء محاضرات حول الطب في الجامعة الوطنية المستقلة في المكسيك وعمل كمصور صحفي لاتيني لوكالة الأنباء. خلال هذا الوقت جدد صداقته مع نيكو لوبيز وغيرهم من المنفيين الكوبيين الذين كان قد التقى بهم في غواتيمالا، في يونيو 1955 قدم له لوبيز راؤول كاسترو الذي عرفه في وقت لاحق بأخيه الأكبر فيدل كاسترو الزعيم الثوري الذي شكل حركة 26 يوليو وأصبح الآن يخطط للإطاحة بالديكتاتور باتيستا، خلال محادثة نقاشية طويلة مع كاسترو في أول اجتماع لهما خلص جيفارا إلى أن قضية هذا الكوبي هي ما كان يبحث عنه وقبل الفجر كان قد قام بالإنضمام كعضو لما يسمى بحركة 26 يوليو. منذ هذه النقطة في حياة جيفارا أصبح يعتبر الولايات المتحدة تسيطر على التكتلات بتثبيت ودعم الأنظمة القمعية في مختلف أنحاء العالم، في هذا السياق اعتبر باتيستا دمية الولايات المتحدة التي يجب إزالتها.

على الرغم من أنه كان من المقرر أن يكون مسعف المجموعة القتالية ولكنه شارك في التدريبات العسكرية مع أعضاء الحركة. الجزء الرئيسي من التدريب كان حول تعلم تكتيكات الكر والفر في حرب العصابات، جيفارا وغيره خضع لتدريبات شاقة تشمل مسيرات طوال 15 ساعة بالجبال وعبور الأنهار وخلال شجيرات كثيفة، وتعلم واتقان إجراءات الكمين والتراجع السريع، من البداية كان جيفارا الطالب المثالي لألبرتو بايو بين هؤلاء في مجال التدريب، وسجل أعلى مستوى في كافة الاختبارات المعنية. في نهاية الدورة تم تسميته "أفضل مقاتل" من قبل المدرب والعقيد بايو.

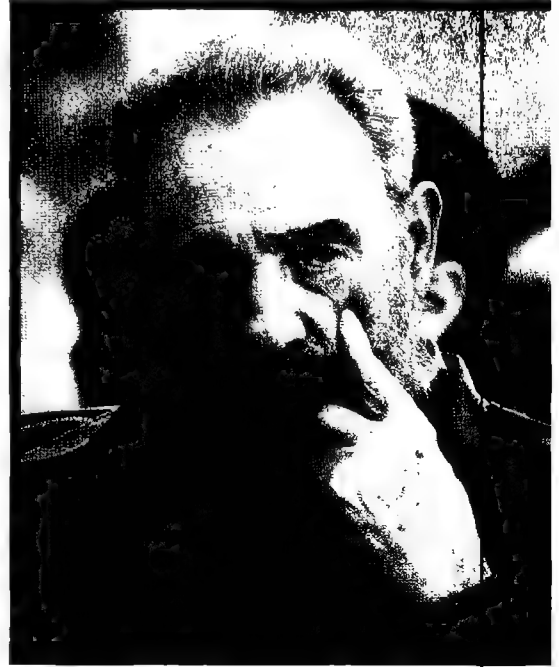
التفكير
لشباب



الثورة الكوبية الغزو والحروب وسانتا كلارا

الخطوة الأولى في خطة كاسترو الثورية كانت الهجوم على كوبا من المكسيك عبر غرانما وهو مركب قديم يرشح، قاموا بتحديد يوم 25 نوفمبر 1956 للهجوم على كوبا. قام جيش باتيستا بالهجوم عليهم بعد الهبوط مباشرة، وقتل العديد من الإثنين والثمانون مقاتل في الهجوم الذي وقع لم ينج منهم سوى 22 رجلاً. كتب جيفارا أنه خلال هذه المواجهة الدامية القى باللوازم الطبية والتقط صندوق من الذخيرة من مخلفات أحد رفاقة الهاربين وكانت هذه الخطوة الحاسمة حيث ترك نهائياً الطب وأصبح مقاتلاً.

ظلت مجموعة صغيرة من الثوار على قيد الحياة لإعادة القوة القتالية للرثة للمجموعة في عمق جبال سييرا مايسترا حيث تلقت دعماً من شبكة حرب العصابات في المدن ومن فرانك باييس وكذلك حركة 26 يوليو والفلاحين المحليين مع انسحاب المجموعة إلى سيراليون، تساءل العالم عما إذا كان كاسترو حياً أو ميتاً حتى أوائل عام 1957 عندما تمت المقابلة مع "هربرت ماثيوز" وظهرت في مقال بصحيفة نيويورك تايمز، المقالة المقدمة قامت بتصوير دائم، شبه الأسطوري لصورة كاسترو ورجال حرب العصابات، لم يكن جيفارا حاضراً للمقابلة، ولكنه في الأشهر المقبلة بدأ يدرك أهمية وسائل الاعلام في نضالهم، في هذا



الافتتاح



في أسطورة



الوقت كانت اللوازم في انخفاض وكذلك الروح المعنوية، وعانى جيفارا من حساسية بسبب لدغات البعوض التي أسفرت عن خراجات مؤلمة بحجم الجوز على جسده، أعتبر جيفارا هذه المرحلة "الأكثر إيلاما في الحرب".

مع استمرارية الحرب أصبح جيفارا جزءاً لا يتجزأ من الجيش والمتمردين وأقنع كاسترو بقدراته ودبلوماسيته وصبره. أقام جيفارا مصانع لتصنيع القنابل اليدوية، وقام ببناء أفران لصنع الخبز ودرس المجندين الجدد التكتيكات ونظم المدارس لتعليم الفلاحين الأميين القراءة والكتابة. وعلاوة على ذلك أنشاء جيفارا العيادات الصحية وورش عمل لتعليم التكتيكات العسكرية وصحيفة لنشر المعلومات. الرجل الذي بعد ثلاث سنوات أطلقت عليه مجلة تايم لقب: عقل الثورة في هذه المرحلة تمت ترقيته من قبل فيدل كاسترو إلى القائد الثاني في الجيش.

باعتباره المحارب الوحيد في مرتبة قائد إلى جانب فيدل كاسترو كان جيفارا قاسياً للغاية بشأن انضباط المنشقين الذين تم إطلاق النار عليهم من دون تردد. تمت معاقبة الهاربين على أنهم خونة وجيفارا كان معروفاً بإرسال فرق إعدام لمطاردة الذين يسعون للهروب بدون إذن. نتيجة لذلك أصبح جيفارا يخشى لوحشيته وقسوته. خلال حملة حرب العصابات كان جيفارا المسؤول كذلك عن تنفيذ أحكام الإعدام على الفور للرجال المتهمين بالتخابر أو الفارين أو الجواسيس في كثير من الأحيان.

على الرغم من انه حافظ على النظام القاسي والشديد إلا أن جيفارا كان ينظر لدور القائد كالمعلم وكان يقوم بالترفيه لرجاله أثناء





فترات الراحة بين المناوشات وذلك بالقراءة لأمثال روبرت لويس ستيفنسون وسرفانتس والشعر الغنائي الإسباني. وصف الضابط القائد الكوبي فيدل كاسترو جيفارا بأنه ذكي وجريء وزعيم مثالي الذي كان له سلطة معنوية كبيرة على قواته. لاحظ كاسترو كذلك أن جيفارا يقوم بالكثير من المخاطر حتى أن لديه ميل نحو التهور.

كان لجيفارا دور أساسي في إنشاء محطة إذاعية سرية المسمى راديو ريبيلدي في فبراير عام 1958 الذي تبث الأخبار للشعب الكوبي مع تصريحات من جانب حركة 26 يوليو ولم يتوفر الاتصال اللاسلكي بين عدد متزايد من المتمردين في أنحاء الجزيرة. كان من الواضح أن مصدر إلهام جيفارا لإنشاء محطة كان من خلال مراقبة فعالية وكالة المخابرات المركزية

التي قدمت إذاعة لغواتيمالا لإسقاط حكومة جاكوبو أربينز غوزمان.

في أواخر يوليو عام 1958 لعب جيفارا دوراً حاسماً في معركة لاس مرسيدس باستخدام مجموعة محاربين لوقف استدعاء 1.500 رجال من قبل باتيستا كانتيو ضمن خطة لتطويق وتدمير قوات كاسترو. بعد سنوات قام الميجور لاري بوكمان من قوات المشاة البحرية الأمريكية بالتحليل وتقدير ووصف تكتيكات تشي لهذه المعركة بأنها رائعة. خلال هذا الوقت أيضاً أصبح



جيفارا الخبير الرائد
في تكتيكات الكر
والفر ضد جيش
باتيستا حيث كان يقوم
بالضرب ثم يتلاشى
مرة أخرى في الريف
قبل تمكن الجيش من
الهجوم المضاد.

مع استمرار الحرب
قام جيفارا بقيادة
مجموعة جديدة من
المقاتلين غرباً للقيام
بدفعة نهائية تجاه
هافانا، قام جيفارا
بالسفر مشياً على
الأقدام واستغرق
الأمر 7 أسابيع شاقة



حيث كان يتحرك ليلاً فقط لتجنب الكمان وكثيراً كان لا يأكل لعدة أيام.
في الأيام الأخيرة من شهر ديسمبر عام 1958 كان على جيفارا مهمة قسم
الجزيرة إلى قسمين عن طريق الاستيلاء على مقاطعة لاس فيلياس، في
غضون بضعة أيام نفذ سلسلة من الانتصارات تكتيكية رائعة سمحت له
بالسيطرة على جميع المقاطعات ولكن دون العاصمة سانتا كلارا، توجه
جيفارا بكتيبته الانتحارية للهجوم على سانتا كلارا، التي أصبحت النهاية
الحاسمة للانتصار العسكري للثورة. في الأسابيع الستة التي سبقت معركة
سانتا كلارا كانت هناك أوقات كانوا الرجال محاطين بالكامل والعدد
متفوق عليهم وكادوا يغلبون، أنتصر تشي في نهاية المطاف على الرغم
من الصعاب الهائلة والتفوق العددي للعدو الذي وصل إلى 10:1 وهذه



المعارك تظل في رأي بعض المراقبين حرب قوة ملحوظة ورائعة في الحروب الحديثة.

بث راديو ريبيلدي التقارير الأولى لنجاح قوات جيفارا في احتلال سانتا كلارا ليلة رأس السنة عام 1958، تناقض هذا مع التقارير التي تخضع للرقابة المشددة الصادرة من وسائل الإعلام بالأخبار الوطنية الذين في مرحلة من المراحل أعلنوا عن وفاة جيفارا أثناء القتال، في الساعة 3 صباحاً في 1 يناير عام 1959 تم التفاوض على سلام منفصل مع جيفارا وصعد باتيستا على طائرة في هافانا وهرب إلى الجمهورية الدومينيكية مع ثروته التي تقدر بأكثر من 300.000.000 عن طريق الكسب غير المشروع والرشاوى. في يوم 2 يناير دخل جيفارا إلى هافانا للسيطرة النهائية على العاصمة. استغرق فبدل كاسترو أكثر من 6 أيام حتى وصل، وذلك لتوقفه لحشد الدعم في عدة مدن كبيرة في طريقه إلى هافانا في 8 يناير عام 1959.



في فبراير أعلنت الحكومة الثورية جيفارا مواطناً كوبي المولد تقديراً لدوره في الانتصار. صدر قانون يعطي الجنسية والمواطنة الكاملة لكل من حارب مع الثوار برتبة عقيد، ولم توجد هذه المواصفات سوى في جيفارا الذي عين مديراً للمصرف المركزي وأشرف على محاكمات خصوم الثورة وبناء الدولة في فترة لم تعلن فيها الثورة عن وجهها الشيوعي، وما أن أمسكت الثورة بزمام الأمور - وبخاصة الجيش - حتى قامت الحكومة الشيوعية التي كان فيها جيفارا وزيراً للصناعة وممثلاً لكوبا في الخارج ومتحدثاً باسمها في الأمم المتحدة. عندما وصلت هيلدا جاديا إلى كوبا في أواخر شهر يناير قال جيفارا لها أن له علاقة مع امرأة أخرى واتفقا على الطلاق، الذي تم يوم 22 مايو. يوم 2 يونيو عام 1959 تزوج من أليدا مارش وهي عضو كوبي المولد من حركة 26 يوليو والتي كان يعيش معها منذ 1958.



اقتدار



لا كابانا وإصلاح الأراضي

خلال التمرد ضد نظام باتيستا الدكتاتوري، دخلت القيادة العامة لجيش المتمردين بقيادة فيديل كاسترو إلى الأراضي المحررة من قانون العقوبات المعروف باسم لي دي لا سييرا. هذا القانون يتضمن فرض عقوبة الإعدام على الجرائم الخطيرة للغاية سواء التي ارتكبتها الدكتاتور أو أنصار الثورة، في عام 1959 نشرت الحكومة الثورية تطبيق القانون على كامل الجمهورية وعلى الذين اعتبرتهم مجرمي حرب وقامت بالقبض عليهم بعد الثورة، وفقاً لوزارة العدل الكوبي هذا التعديل الأخير كان مدعوماً من غالبية السكان، ويتبع نفس الإجراءات في محاكمات نورمبرغ التي عقدها الحلفاء بعد الحرب العالمية الثانية.



لتنفيذ جزء من هذه الخطة قام كاسترو بتنصيب جيفارا قائد لسجن القلعة لا كابانا لمدة خمس أشهر (من 2 يناير إلى 12 يونيو 1959). اهتم جيفارا بتطهير جيش باتيستا وتوطيد انتزاع فوز "العدالة الثورية" ضد الذين يعتبرون خونة (مخبرين) أو من مجرمي الحرب. أثناء عمل جيفارا في منصب قائد لسجن لا كابانا قام باستعراض التظلمات من المدانين خلال عملية المحكمة الثورية. في بعض الحالات كانت العقوبة التي أصدرتها



المحكمة هي الموت رميا بالرصاص. جادل راؤول غوميس تريغو مستشار الشؤون القانونية في وزارة العدل الكوبية بأن عقوبة الإعدام كانت مبررة من أجل منع المواطنين انفسهم من تحقيق العدالة بأيديهم، كما حدث منذ عشرين عاما في وقت سابق أثناء مكافحة تمرد جيراردو ماشادو. كتب السير الذاتية لاحظت أنه في يناير 1959 كان الجمهور الكوبي "مزاج الإعدام خارج نطاق القانون"، وأشار إلى استفتاء في تلك الفترة يظهر 93% من التأييد الشعبي لعملية التحكيم. لقي 20.000 من الكوبيين مصرعهم على يد أعوان باتيستتا، وكثير من الذين حكم عليهم بالإعدام كانوا متهمين بالتعذيب والاعتداءات البدنية، حكومة السلطة الحديثة نفذت عمليات الإعدام "دون احترام للإجراءات القانونية الواجبة". على الرغم من أن العدد الدقيق مختلف عليه، فمن المقدر أن عدة مئات من الأشخاص أعدموا خلال هذا الوقت.

توجد آراء متضاربة حول مدى سعادة جيفارا إزاء عمليات الإعدام في مدينة لوس انجلوس بسجن لا كابانا، نشر بعض كتاب السيرة المعارضة تقرير بأنه استمتع بطقوس الإعدام رميا بالرصاص، ونظم لها بحماسة واندفاع. ولكن ما اعترف به جميع الاطراف هو ان جيفارا أصبح رجل أكثر صرامة لا يتورع عن تطبيق عقوبة الإعدام أو القيام بإجراءات سريعة أو القيام بالمحاكمات الجماعية، إذا كان السبيل الوحيد "للدفاع عن الثورة هو تنفيذ أحكام الإعدام



على أعدائها فإنه لن يتأثر بالحجج الإنسانية أو السياسية“. ويعضد هذا الرأي رسالة وجدت في 5 فبراير 1959 بين لويس لوبيز باريديس في بوينس آيرس وجيفارا حيث أقر الأخير بشكل لا لبس فيه ”إن إطلاق النار من قبل فرق الإعدام ليست مجرد ضرورة لشعب كوبا ولكنها أيضا فرض“.

أهتم جيفارا بجانب ضمان ”العدالة الثورية“ في وقت مبكر بأمر رئيسي آخر وهو إصلاح الأراضي الزراعية، بعد نجاح الثورة على الفور تقريبا في 27 يناير 1959 ألقى تشي جيفارا واحداً من أهم خطاباته، حيث تحدث عن ”الأفكار الاجتماعية لجيش المتمردين“ وخلال هذا الخطاب أعلن أن الهم الرئيسي للحكومة الكوبية الجديدة هو ”العدالة الاجتماعية والذي يأتي من إعادة توزيع الأراضي“. وبعد بضعة أشهر في 17 مايو عام 1959 وضع ”قانون الإصلاح الزراعي“ ودخل حيز التنفيذ مما حدد حجم جميع المزارع





إلى 1.000 فدان، أي حيازات أكثر من هذه الحدود تمت مصادرتها من قبل الحكومة وإعادة توزيعها على الفلاحين في شكل 67 فدان أو قدمت للبلديات التي تديرها الدولة. وينص القانون أيضاً على أنه لا يمكن لمزارع قصب السكر أن تكون مملوكة من قبل الأجانب.

يوم 12 يونيو عام 1959 أرسل كاسترو جيفارا في جولة لمدة ثلاثة أشهر لأربعة عشرة بلداً معظمها من حلف باندونغ ودول بأفريقيا وآسيا، إرسال جيفارا بعيداً عن هافانا سمح لكاسترو بأن يبدو بعيداً عن تشي الذي كان متعاطف مع الماركسية والتي أزعجت كل من الولايات المتحدة وبعض أعضاء حركة كاسترو حركة 26 يوليو. قضى جيفارا 12 يوماً في اليابان (من يوليو 15 إلى 27) وشارك في المفاوضات لتوسيع علاقات كوبا التجارية مع هذا البلد، خلال هذه الزيارة قام جيفارا سراً بزيارة مدينة



هيروشيفا، حيث كان الجيش الأميركي قد فجر قنبلة نووية قبل 14 عاماً، صدم جيفارا مما شاهده خلال زيارته إلى المستشفى حيث كان به الناجين من القنبلة تحت العلاج.

لدى عودته إلى كوبا في سبتمبر 1959 كان لكاسترو الآن سلطة سياسية أكبر. كانت الحكومة قد بدأت في الاستيلاء على الأراضي المدرجة في قانون الإصلاح الزراعي، ولكن كان عليها التحوط وتقديم تعويضات لملاك الأراضي وبدلاً من ذلك قامت بتقديم "سندات" الفائدة المنخفضة مما وضع الولايات المتحدة في حالة تأهب. عند هذه النقطة مربى الماشية المتضررين من الأثرياء في "كاماغوي" قاموا بشن حملة ضد إعادة توزيع الأراضي مع المجندين حديثاً الساخطين وزعيم المتمردين هوبر ماتوس، الذي وقف جنباً إلى جنب مع الجزء المعارض للجناح الشيوعي وحركة 26 يوليو انضم اليهم في استنكار للتعدي الشيوعي. خلال هذا الوقت قدم دكتاتور





الدومينيكا "رافائيل تروخيلو" المساعدة إلى "فيلق مناهضة الشيوعية لمنطقة البحر الكاريبي" الذي كان يتدرب في جمهورية الدومينيكا، هذه القوة متعددة الجنسيات في معظمها كانت مؤلفة من الأسبان والكوبيين وأيضاً من الكروات والألمان واليونانيين والجنح الأيمن للمرتزقة، الذين كانوا يخططون للإطاحة بنظام كاسترو الجديد.

تزايدت هذه التهديدات يوم 4 مارس 1960 عندما حدث انفجارين قاموا بهز سفينة الشحن الفرنسية "لا كوبر" والتي كانت تحمل ذخائر بلجيكية من ميناء انتويرب، ورست في مرفأ هافانا، الانفجارين أسفرا عن مقتل ما لا يقل عن 76 شخصاً وإصابة عدة مئات وقديم جيفارا شخصياً الإسعافات الأولية لبعض الضحايا، اتهم الزعيم الكوبي فيدل كاسترو على الفور وكالة المخابرات المركزية بالقيام "بالعمل الارهابي" وعقدت جنازة رسمية في اليوم التالي لضحايا الانفجار. حضر حفل التأبين ألبرتو كوردا وأخذت الصورة الشهيرة لتشي جيفارا التي تعرف الآن باسم "زعيم حرب العصابات".



هذه التهديدات المتصورة دفعت كاسترو للقيام بالمزيد من الثورة مضادة، والاستفادة من جيفارا بشكل جذري لزيادة سرعة إصلاح الأراضي لتنفيذ هذه الخطة أنشئت وكالة حكومية جديدة هي "المعهد الوطني للإصلاح الزراعي" (اينرا) كإدارة جديدة لتنفيذ قانون الإصلاح الزراعي وسرعان ما أصبحت هي أهم هيئة حكومية في البلاد برئاسة جيفارا بوصفه وزيراً للصناعة. تحت قيادة جيفارا نشأت الميليشية الخاصة لاينرا بقوامه 100.000 شخص وتستخدم أولاً لمساعدة الحكومة على السيطرة على الأراضي المصادرة والإشراف على التوزيع، وبعد ذلك لإنشاء المزارع التعاونية، شملت الأراضي المصادرة 480.000 فدان مملوكة لشركات أمريكية. وعلى سبيل الانتقام قام الرئيس الأميركي دوايت أيزنهاور بتخفيض حاد في الواردات من السكر الكوبي (المحصول النقدي الرئيسي لكوبا) مما جعل جيفارا يوم 10 يوليو عام 1960 بإلقاء خطاب أمام أكثر من 100.000 عامل امام القصر الرئاسي في مسيرة دعا فيها إلى شجب تصرف الولايات المتحدة ووصفه "بالعدوان الاقتصادي".

التفكير



الرجل الجديد وخليفه الفخار وازمة الصواريخ

حصل جيفارا بعدما على وظيفة إضافية وهي منصب رئيس البنك الوطني والتي وضعت تشي في ذروة قوته إضافة إلى كونه وزير الصناعة وجعلته القيصر "الافتراضي" للاقتصاد الكوبي. كان أول أهدافه هو أن يرى تنويع في اقتصاد كوبا فضلاً عن القضاء على الحوافز المادية لصالح الدوافع الأخلاقية، كان ينظر إلى الرأسمالية بوصفها مسابقة "بين الذئاب" حيث "لا يسع المرء إلا بالفوز على حساب الآخرين" وبالتالي المطلوب أن نرى إنشاء "الرجل والمرأة الجديدين". شدد جيفارا باستمرار على أن الاقتصاد الاشتراكي في حد ذاته لا "يستحق كل هذا الجهد والتضحية ومخاطر الحرب والدمار" إذا انتهى بتشجيع "الجشع والطموح الفردي على حساب





الروح الجماعية. وهكذا أصبح الهدف الرئيسي لجيفارا هو إصلاح "الوعي الفردي"، والقيم على تقديم أفضل العمال والمواطنين. في رأيه كان على "الرجل الجديد" لكوبا أن يكون قادراً على التغلب على الأنانية وحب الذات الذين كان يكرههم بشكل شديد لأنهم سمه من سمات الأفراد في المجتمعات الرأسمالية. قال جيفارا ما يلي في وصف هذا الأسلوب الجديد من التنمية:

هناك فرق عظيم ما بين تنمية المشاريع الحرة وبين التنمية الثورية في إحداها تتركز الثروة في أيدي محظوظين قليلين أصدقاء الحكومة، وأفضل تجار السيارات والدراجات النارية وفي الآخر تتركز الثروة في تراث الشعب.



من معتقدات جيفارا أن هناك جزء لا يتجزأ من مواصلة تعزيز الشعور "بالوحدة الوطنية بين الفرد والجماعة" وهو العمل التطوعي. لعرض هذا قام جيفارا بالقيادة وتقديم المثل، وهذا عن طريق العمل "إلى ما لا نهاية في وظيفته في الوزارة في مجال البناء وحتى قطع قصب السكر" في أيام عطلته. كان معروفاً بالعمل 36 ساعة متواصلة

داعياً لاجتماعات بعد منتصف الليل وتناول الطعام بشكل عارض. وكان هذا السلوك يليق بجيفارا في طريقته الجديدة للتحفيز المعنوي حيث أن كل عامل كان المطلوب منه الآن تلبية حصة وإنتاج عدد معين من السلع ومع ذلك تم إلغاء الزيادات في الأجور وذلك بتقديم بديل وهو نظام يسمح للعمال عند تجاوز حصتهم الحصول على شهادة ثناء في حين أن العمال الذين فشلوا في الوفاء بحصصهم يتم تخفيض أجورهم. دافع جيفارا عن فلسفته الشخصية



والدافع ورائها قاتلاً :

هذا لا يعني كم يستطيع أحدهم أن يأكل ولا يعني كم مرة يذهب إلى الشاطئ في السنة أو كم قطعة من الحلي يستطيع أحدهم أن يشتري من خارج البلاد بمصروفه الحالي ما يهم فعلاً هو أن يشعر الفرد أكثر اكتمالاً مع ثراء داخلي أكبر ومسؤولية أكبر.

بغض النظر عن مزايا أو عيوب المبادئ الاقتصادية لجيفارا وبرامجه الذي انتهى قريباً بالفشل. برنامج جيفارا "للعواطف المعنوية" للعمال تسبب بانخفاض سريع في الإنتاجية وارتفاع سريع في التغيب عن العمل. في 17 نيسان 1961 دربت الولايات المتحدة 1400 من المنفيين الكوبيين لغزو الجزيرة في حادثة غزو خليج الخنازير، لم يلعب جيفارا بنفسه دوراً أساسياً في القتال لأنه قبل يوم من الغزو قامت سفينة حربية تنقل قوات مشاة البحرية مزورة بالغزو قبالة الساحل الغربي لبيمار دل ريو، وتم توجيه القوات بقيادة جيفارا إلى تلك المنطقة. ومع ذلك يعطي المؤرخون جيفارا الفضل حيث كان مديراً تنفيذياً للقوات المسلحة الكوبية في ذلك الوقت ومن حقة حصّة من هذا النصر. شرح الكاتب تاد شولك الفوز الكوبي الذي يسند بعض الفضل





لجيفارا قائلاً : إن الثوريين فازوا لأن تشي جيفارا بصفته رئيساً للإدارة القوات المسلحة الثورية والمسؤول عن برنامج تدريب الميليشيات قاموا بإعداد جيد جداً لـ 200.000 من الرجال والنساء للحرب. كما أصيب جيفارا خلال هذا الانتشار من مرور رصاصة بخده من مسدسه عندما سقط من الحافلة وانطلقت الطلقة بطريق الخطأ.

في أغسطس 1961 على هامش المؤتمر الاقتصادي لمنظمة الدول الأمريكية في بونتا دل استي في أوروغواي، أرسل تشي جيفارا مذكرة "امتحان" للرئيس الأميركي جون كينيدي عن طريق ريتشارد غودوين - وهو سكرتير شاب في البيت الأبيض - نصها كما يلي : شكراً لما حدث في (خليج الخنازير) قبيل هذا الغزو كان الثوار غير واثقين من انفسهم والآن هم أقوى من أي وقت مضى. قام وزير الخزانة دوغلاس ديلون بعرض رداً من الولايات المتحدة للتحالف من أجل التقدم التصديق عليه من قبل الجلسة وهاجم جيفارا بعدوانية مطالبة الولايات المتحدة بكونها ديمقراطية مشيراً



إلى أن مثل هذا النظام لا يتوافق مع ما يحدث من الطغمة المالية والتميز ضد السود والاعتداء من قبل جماعة كو كلوكس كلان. استمر جيفارا متحدثاً ضد الاضطهاد أنه في رأيه قاد علماء مثل اوبنهايمر لعزلهم من وظائفهم، أنهى جيفارا تصريحاته بتلميح ساخر أن الولايات المتحدة ليست مهتمة بإقامة إصلاحات حقيقية الخبراء الأمريكيين لا يتحدثون أبداً عن الإصلاح الزراعي ويفضلون مواضيع أمنة مثل تحسين امدادات المياه باختصار يبدو أنها تستعد لثورة المراحيض.

كان جيفارا مهندس عملياً للعلاقات الكوبية السوفيتية، ثم لعب دوراً رئيسياً في جلب الأسلحة النووية والصواريخ الباليستية إلى كوبا من الاتحاد السوفيتي والتي أدت إلى أزمة الصواريخ الكوبية في أكتوبر 1962 وجعلت العالم على شفى الحرب النووية. خلال مقابلة مع الصحيفة الشيوعية البريطانية العمال اليومية بعد أسابيع قليلة من الأزمة كان جيفارا لا يزال غاضباً بسبب الخيانة المتصورة من السوفييت وذكر انه إذا كانت الصواريخ تحت السيطرة الكوبية لكانوا قد أطلقوها على الفور. المراسل البريطاني سام راسل الذي تحدث إلى جيفارا في ذلك الوقت أشار إلى مشاعر مختلطة واصفاً إياه بأنه شخصية دافنة وأنه رجل استخبارات كبير لكن الصواريخ بالنسبة له هي كالمفرقات، أزمة الصواريخ اقنعت جيفارا بأن اثنين من القوى العظمى في العالم - الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي - تستخدم كوبا بمثابة رهان في استراتيجياتها العالمية. بعد ذلك أصبح يندد بالسوفييات تقريباً مع كل شجب للأمريكيين.





نضالاته

كره تشي انتكال الثورة الكوبية على الاتحاد السوفيتي، واستمر في ابتكار وسائل أخرى للحصول على التمويل وتوزيعه. ولأنه الوحيد الذي درس فعلا أعمال كارل ماركس بين قادة حرب العصابات المنتصرين في كوبا، فإنه كان يحتقر التحريفيين وماقيا الحزب الذين صعدوا على أكتاف الآخرين في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية، وفي كوبا أيضا.

كشف (أي إف ستون) كيف انهمك تشي جيفارا في نقاش علني، أثناء مؤتمر في مدينة بونتي ديل اسستي بأوروجواي مبكراً في 1961 (وهو المولود في الأرجنتين حيث درس الطب هناك) مع بعض شباب اليسار الجديد من نيويورك. أثناء تلك المناقشة، مر بهم اثنان من جهاز الحزب الشيوعي الأرجنتيني. لم يستطع جيفارا أن يمنع نفسه من الصياح بصوت عال، "هي، لماذا أنتم هنا، أمن أجل أن تبدأوا الثورة المضادة؟"

مثل تشي الكثيرين في الحركة الناشئة إرادتهم على الحركات الثورية للسكان الأصليين.

وبالفعل فإن الثورة في كوبا، على عكس المفاهيم المعاصرة للكثيرين في الولايات المتحدة اليوم، كانت مستقلة، وفي بعض الأحيان معارضة للحزب الشيوعي الكوبي. ولقد أخذ بناء مثل هذه العلاقة -التي لم يكن من السهل صنعها- عدة سنوات فقط بعد الثورة ونجحت في أخذ سلطة الدولة وتأسيسها، دافعة إلى الاندماج بين القوى الثورية والحزب -الاندماج الذي لم يضع نهاية لمشاكل جيفارا والثورة الكوبية نفسها.

إحدى تلك المشاكل هي اعتماد كوبا المتزايد على الاتحاد السوفيتي (في بعض الأوجه يماثل الاعتماد المتزايد لبعض المنظمات الراديكالية على منح المؤسسات في صورة أموال ولوازم لولبية أخرى). قررت الحكومة أثناء احتياجها اليأس للنقد من أجل شراء لوازم شعبها الضرورية - وبعد نقاش



مريـر - قررت أن تضـيع فرصة تنويع الزراعة في كوبا من أجل التوسع في محصولها النقدي الرئيسي، قصب السكر، الذي يتم تبادله أمام البترول السوفيتي، لتستهلك جزء من هذا البترول وتعيد بيع الباقي في السوق العالمي. وبالتدريج فقدت كوبا، بالرغم من تحذيرات تشي (والآخرين)، القدرة على إطعام شعبها نفسه - وهي المشكلة التي بلغت أبعادا مدمرة بانهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991.

وهي نفس الأزمات التي أهدقت بالاتحاد السوفيتي والدول التي كان معترفا بها كدول اشتراكية عندما سعوا وراء النموذج الصناعي للتنمية وحاولوا أن يدفعوا ثمنه بالإنتاج والتنافس في السوق العالمي. كان رد فعل تشي: لا تنتج من أجل السوق العالمي. ارفض تحليلات التكلفة/المنفعة (cost/benefit) كمعيار لما ينبغي إنتاجه. آمن تشي بأن المجتمع الجديد حقيقة، وعليه أن يجعل طموحه هو ما يحلم به شعبه من أجل المستقبل، وأن يعمل على تنفيذه فوراً في كل أوان ومكان. وحتى تبلغ ذلك، على الثورات الشيوعية أن ترفض معيار "الكفاءة" وعليها أن ترفع المحاولات المجتمعية المحلية حتى تخلق مجتمعا أكثر إنسانية بدلاً من ذلك.



البراميسية المولوية

سافر تشي جيفارا في كانون الأول 1964 لمدينة نيويورك على رأس الوفد الكوبي لإلقاء كلمة في الأمم المتحدة، وخلال كلمته الحماسية انتقد جيفارا عدم قدرة الأمم المتحدة لمواجهة السياسة "الوحشية ونظام الفصل العنصري" في جنوب أفريقيا وأعلن "ألا يمكن للأمم المتحدة أن تفعل شيئاً لوقف هذا الأمر؟" ثم شجب جيفارا سياسة الولايات المتحدة تجاه السكان السود قائلا :

أولئك الذين يقتلون أطفالهم ويميزون بينهم كل يوم بسبب لون بشرتهم، الذين سمحوا لقتلة السود بالبقاء أحراراً، وقاموا بحمايتهم، وإضافةً إلى ذلك عاقبوا السود لأنهم طالبوا بحقوقهم المشروعة بالعيش كرجال أحرار، من هم أولئك الذين جعلوا من أنفسهم حراساً للحرية؟

واختتم جيفارا خطابه ساخطاً من خلال قراءة الفقرة الثانية لإعلان هافانا معلناً أمريكا اللاتينية عائلة من 200 مليون أخ يعانون من نفس البؤس. أعلن جيفارا أن هذه الملحمة من شأنها أن تكون مكتوبة من قبل "جماهير الهنود الجياع والفلاحون المنتزعين من الأرضي والعمال المستغلون والجماهير التقدميين".





الصراع لجيفارا كان صراعا على الكتلة والأفكار والتي سوف يحملها "الذين يتم معاملتهم بسوء واستهزاء من قبل الامبريالية" التي كانت تعتبرهم في السابق "قطيع من الضعفاء وخانعين". مع هذا القطيع أكد جيفارا الآن أن احتكار الرأسمالية الليانكية مخيف وسيُتسبب "بحفر قبورهم". أضاف جيفارا أنه سيكون في خلال هذه الساعة من "الدفاع" أن تبدأ جموع "المجهول" في كتابة تاريخها الخاص "بدمها" واستعادة هذه الحقوق التي كان يُسخر منها لمدة 500 سنة.

أضاف جيفارا في ملاحظاته إلى الأمم المتحدة إلى الجمعية العامة على افتراض أن هذه "الموجة من الغضب" سوف "تجتاح الأراضي في أمريكا اللاتينية" وجماهير العمال الذين "يدورون عجلة التاريخ" للمرة الأولى سيقومون "بالصحوّة المفتقدة منذ فترة طويلة من وحش النوم الذي كانوا قد تعرضوا له.





في وقت آخر علم جيفارا أنه تعرض لمحاولتين إغتيال فاشلتين لاغتياله من قبل المنفيين الكوبيين أثناء توقيفه في مجمع الأمم المتحدة. المحاولة الأولى من مولي غونزاليس الذي حاول اختراق الحواجز لدى وصوله ومعه سكين صيد طولها سبعة بوصات، والثانية خلال خطابه من قبل غييرمو نوفو الذي كان يحمل جهاز توقيت حيث كانت هناك بازوكا سيتم إطلاقها من قارب في نهر الشروق على مقر الأمم المتحدة. بعد ذلك علق جيفارا على كلا الحادثين على أنه: من الأفضل أن أقتل على يد امرأة بسكين من أن أقتل من رجل يحمل بندقية في حين اضاف قائلاً مصاحباً موجة من دخان السيجار من فمه: ان الانفجار كان سيجعل الأمر أكثر نكهة.

بينما كان تشي جيفارا في مدينة نيويورك ظهر على شبكة سي بي اس في برنامج صنداي للأخبار برنامج واجه الأمة، والتقى مع مجموعة من الناس، منهم السناتور الاميركي يوجين مكارثي شركاء لمالكوم إكس، مالكولم إكس الذي ابدى اعجابه بجيفارا معلناً أنه أحد الرجال الأكثر ثورية في هذا البلد الآن بينما كان يقرأ بياناً له أمام حشد في قاعة أودوبون.





غادر جيفارا لباريس في 17 ديسمبر في جولة لمدة ثلاثة أشهر واشتملت على شعب جمهورية الصين الشعبية، والجمهورية العربية المتحدة (مصر)، الجزائر، غانا، غينيا، مالي، داهومي، والكونغو برازافيل وتنزانيا، مع توقف في أيرلندا ووبراغ. بينما كان جيفارا في أيرلندا قام بالاحتفال بتراث بلده الأيرلندي في مناسبة عيد القديس باتريك في مدينة ليمريك. كتب إلى والده عن هذه الزيارة قائلا بخفة دم: أنا في أيرلندا الخضراء الخاصة بأسلافك عندما اكتشف التلفزيون [المحطة] جاءوا ليسألوني عن نسبي لعائلة لينش ولكن في حال كانوا لصوصا أو شيء من هذا القبيل، لم أقل لهم أشياء كثيرة.



جيفارا وجمال عبدالناصر









خلال هذه الرحلة كتب رسالة إلى كارلوس كيخانو محرر في جريدة أسبوعية في أوروغواي، التي تم تسميتها آنفاً بعنوان الاشتراكية والإنسان في كوبا. ورد في مقال لجيفارا تلخيص لأفكاره عن خلق نوع جديد من الوعي وحالة جديدة للعمالة والعمل والأدوار الفردية. جيفارا أنهى مقاله معلناً أن "الثوري الحقيقي يسترشد بالشعور العظيم للحب" وطلب من جميع الثوريين "كافحوا كل يوم حتى يتحول هذا الحب تجاه البشر الذين يعيشون إلى أعمال يحتذى بها"، وبذلك أصبح "قوة محركة".

ألقى جيفارا ما أصبح خطابه الأخير في الجزائر يوم 24 فبراير 1965 الذي كان آخر ظهور علني له على المسرح الدولي في ندوة اقتصادية عن التضامن الأفرو - آسيوي. قام جيفارا بالتركيز على الواجب الأخلاقي للبلدان الاشتراكية واتهمهم بالتواطؤ الضمني مع الدول الغربية المستغلة. انتقل إلى الخطوط العريضة لعدد من التدابير التي قال فيها أن دول الكتلة الشيوعية يجب أن تنفذها من أجل هزيمة الامبريالية. وقد انتقد الاتحاد السوفياتي (الداعم المالي الرئيسي لكوبا) بطريقة عامة، وعاد إلى كوبا في 14 مارس إلى حفل استقبال رسمي من قبل فيدل وراؤول كاسترو، أوزفالدو دورتيكوس وكارلوس رافانييل رودريغيز في مطار هافانا.





اختفاء جيفارا

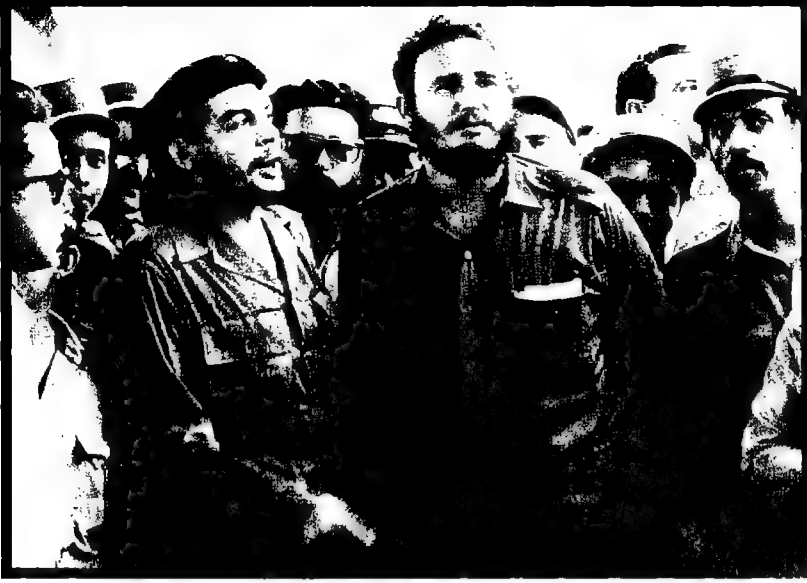
في عام 1965 بعد ذلك بأسبوعين قل ظهور جيفارا في الحياة العامة ومن ثم اختفى تماماً. كان مكان وجوده لغزاً كبيراً في كوبا حيث كان ينظر إليه عادة باعتباره الرجل الثاني في السلطة بعد كاسترو نفسه. اختفائه نسب بأشكال مختلفة إلى فشل خطة التصنيع حين كان وزير الصناعة، وإلى الضغوط التي كانت تمارس على كاسترو من قبل المسؤولين السوفييتيين الرافضين لسياسة جيفارا المالية للصين الشيوعية حول الانقسام بين الصين والاتحاد السوفيتي. كانت هناك خلافات خطيرة بين جيفارا وكاسترو في كوبا فيما يتعلق بالتنمية الاقتصادية والخطة المجتمعية. بداء كاسترو يأخذ حذره من تزايد شعبية جيفارا واعتبره تهديداً محتملاً.

وتزامنت وجهات نظر جيفارا مع النظريات التي اوردتها القيادة الشيوعية الصينية والتي سببت مشكلة متنامية بالنسبة لكوبا بالنسبة لاقتصاد البلاد الذي أصبح أكثر وأكثر اعتماداً على الاتحاد السوفياتي. كان جيفارا منذ الأيام الأولى للثورة الكوبية في نظر الكثيرين من المدافعين عن استراتيجية الماوي في أمريكا اللاتينية والمنشئ لخطة التصنيع السريع لكوبا التي كان يتم كثيراً مقارنتها مع الصين بعبارة "الفقرة الكبرى إلى الامام". كاسترو أصيب بالضجر من جيفارا، ويرجع ذلك إلى أن جيفارا كان يعارض الشروط السوفياتية والتوصيات التي رأى كاسترو أنها ضرورية. في حين وصفها جيفارا بأنها فاسدة شبة احتكارية. وبالرغم من ذلك كان كل من كاسترو وإرنستو جيفارا يدعمان فكرة تشكيل جبهة موحدة.

في أعقاب أزمة الصواريخ الكوبية وما رآه جيفارا على أنه خيانة من قبل الجبهة السوفياتية حين قام نيكيتا خروتشوف بسحب الصواريخ من الأراضي الكوبية، أصبح جيفارا أكثر تشككاً في الاتحاد السوفياتي كما ظهر في خطابه الأخير في الجزائر انه جاء ليُشاهد حال نصف الكرة الأرضية الشمالي، الذي تقوده الولايات المتحدة في الغرب والاتحاد السوفياتي في الشرق، والمستغل لنصف الكرة الأرضية الجنوبية. كان يؤيد بشدة فيتنام الشمالية الشيوعية في حرب فيتنام، وحث شعوب البلدان النامية الأخرى لحمل السلاح، وخلق "الكثير من الفيتناميين".



خبر



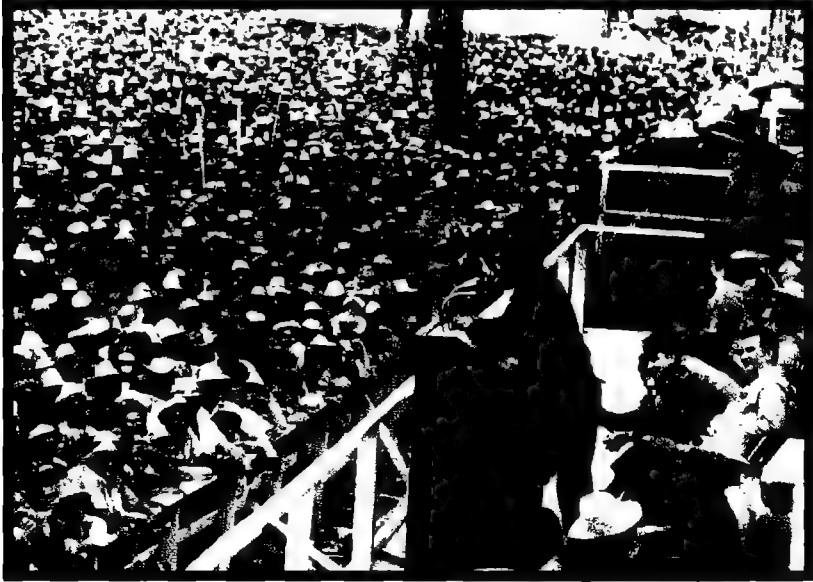
بعد تعرض كاسترو لضغوط دولية بشأن مصير جيفارا صرح في 16 يونيو 1965 أن الشعب سيتم تعريفه عندما يعلن جيفارا بنفسه عن رغبته في السماح لهم بمعرفة أخبار عنه. ومع ذلك انتشرت الشائعات داخل وخارج كوبا. وفي 3 أكتوبر كشف كاسترو عن رسالة غير مؤرخة منسوبة إلي جيفارا مرسله من عده أشهر: أشار فيها جيفارا من جديد إلى تضامنه الدائم مع الثورة الكوبية ولكنه أعلن عن نيته لمغادرة كوبا من أجل القتال من أجل القضايا الثورية في الخارج. إضافة إلى ذلك استقال جيفارا من جميع مناصبه في الحكومة والحزب وتخلّى عن الجنسية الكوبية الفخرية. وظلت تحركات جيفارا محاطة بالسرية للسنتين المقبلتين.



إعلان اختفاؤه

نشرت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية شائعات تدعي فيها اختفاء إرنستو جيفارا في ظروف غامضة، ومقتله على يد زميله في النضال القائد الكوبي فيدل كاسترو، مما اضطر الزعيم الكوبي للكشف عن الغموض الذي اكتنف اختفائه من الجزيرة للشعب الكوبي فأدلى بخطابه الشهير الذي ورد في بعض أجزائه ما يلي:

لدي هنا رسالة كتبت بخط اليد، من الرفيق إرنستو جيفارا يقول فيها: أشعر أنني أتممت ما لدي من واجبات تربطني بالثورة الكوبية على أرضها، لهذا أستودعك، وأستودع الرفاق، وأستودع شعبك الذي أصبح شعبي. أتقدم رسمياً باستقالتي من قيادة الحزب، ومن منصبي كوزير، ومن رتبة القائد، ومن جنسيتي الكوبية، لم يعد يربطني شيء قانوني بكوبا.





في أكتوبر 1965 أرسل جيفارا رسالة إلى كاسترو تطلب فيها نهائياً عن مسؤولياته في قيادة الحزب، وعن منصبه كوزير، وعن رتبته كقائد، وعن وضعه ككوبي، إلا أنه أعلن عن أن هناك روابط طبيعة أخرى لا يمكن القضاء عليها بالأوراق الرسمية، كما عبر عن حبه العميق لكاسترو ولكوبا، وحينئذ لأيام النضال المشترك.

أكدت هذه الرسالة إصراره على عدم العودة إلى كوبا بصفة رسمية، بل ككائن يبحث عن ملاذ آمن بين الحين والآخر. ثم أوقف مساعيه الثورية في الكونغو وأخذ الثائر فيه يبحث عن قضية عالمية أخرى. وقد قال في ذلك: إن الثورة تتجمد وإن الثوار ينتابهم الصقيع حين يجلسون فوق الكراسي، وأنا لا أستطيع أن أعيش ودماء الثورة مجمدة داخلي.





الكونغو

قرر جيفارا المغادرة إلى أفريقيا في عام 1965 ليقدم علمه وخبرته بوصفه خبير في حرب العصابات إلى الصراع الجاري في الكونغو. وفقا للرئيس الجزائري أحمد بن بلة، كان جيفارا يعتقد أن أفريقيا هي الحلقة الضعيفة للإمبريالية، وبالتالي قد تنطوي على إمكانات هائلة للثورة. الرئيس المصري جمال عبد الناصر الذي كانت تجمعه علاقات أخوية مع تشي التي يعود تاريخها إلى عام 1959 خلال زيارة إلى مصر، كان يرى خطط جيفارا للقتال في الكونغو بأنها "غير حكيمة" وحذر من انه سيصبح مثل "طرزان" هناك وهي تجربة محكوم عليها بالفشل. على الرغم من التحذير قاد جيفارا عملية الدعم الكوبي للحركة الماركسية سيمبا التي انبثقت بعد استمرار أزمة الكونغو. وصل جيفارا ورجله الثاني في القيادة فيكتور دريكي و 12 آخرون من الحملة الكوبية إلى الكونغو في 24 أبريل 1965 ليكونوا وحدة قوامها نحو 100 من المنحدرين من أصل كوبي انضمت اليهم بعد ذلك بقليل.





كما تعاون لفترة مع زعيم المتمردين لوران ديزيريه كابيلا الذي سبق له ان ساعد مؤيدي باتريس لومومبا الذي تم اغتياله من قبل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الذي قاد حركة تمرد من قبل وكتب عليها الفشل. لقد كان جيفارا معجباً بالراحل لومومبا وأعلن ان "قتله يجب أن يكون درساً لنا جميعاً"، ولكن سرعان ما خاب أمله في انضباط قوات كابيلا وقال عنه "لا شيء يدفعني إلى الاعتقاد بأنه هو رجل الساعة".

عمل مرتزقة جنوب أفريقيا بقيادة مايك هور بالتنسيق مع المنفيين الكوبيين ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية وكذلك جيش الكونغو الوطني لإحباط جيفارا. كانوا قادرين على رصد رسائله، وحتى استباق هجماته وقطع خطوط الامداد. على الرغم من أن جيفارا سعى إلى اخفاء وجوده في الكونغو إلا أن حكومة الولايات المتحدة كانت على علم بماكنه والأنشطة التي يقوم بها: وكالة الأمن القومي كانت تعترض جميع الاتصالات الواردة والصادرة عبر معدات على متن السفينة "يو اس ان اس الجندي خوسيه او فالديز"، وكانت تجوب عائمة لهذا الغرض للاستماع بشكل مستمر في المحيط الهندي قبالة دار السلام.





كان هدف جيفارا هو تصدير الثورة عن طريق إيعاز القوى المحلية المعادية لموبوتو المقاتلين سيمبا عن الفكر الماركسي واستراتيجيات نظرية فوكو عن حرب العصابات. في يوميات الكونغو التي كتبها يذكر عدم الكفاءة والتعنت والصراع الداخلي بين القوات الكونغولية المحلية من ضمن الأسباب الرئيسية لفشل الثورة. ثم غادر جيفارا الكونغو من نفس العام بسبب مرضه بالزحار وكان أيضا يعاني من الربو الحاد وسبعة أشهر من خيبة الأمل والإحباط وذلك بصحبة الناجيين الكوبيين (ستة أعضاء من فرقته كانوا قد ماتوا). كان جيفارا يفكر في إرسال الجرحى إلى كوبا، والقتال في الكونغو وحده حتى الممات، على سبيل تقديم المثل الأعلى للشوار والثورة، ولكن بعد أن حثه رفاقه وضغطوا عليه من قبل اثنين من المبعوثين التي بعث بهم كاسترو وافق في آخر لحظة على مضض أن يتراجع عن خطته. في الحديث عن الكونغو، خلص جيفارا إلى أن "العنصر البشري فشل. لا توجد إرادة للقتال، والقادة فاسدون، باختصار لم يكن هناك شيء يمكنني القيام به. بعد أسابيع قليلة، عند كتابة مقدمة لمذكراته عن مشروع الكونغو، بدأ كتابته: "هذا هو تاريخ الفشل."»



كان جيفارا مترددا بشأن العودة إلى كوبا، وذلك لأن كاسترو نشر رسالته للجمهور والتي كانت "رسالة وداع" والتي كان يجب نشرها فقط في حالة وفاته حيث قال انه قطع كل العلاقات من أجل تكريس نفسه للثورة في جميع أنحاء العالم نتيجة لهذه الرسالة، أمضى جيفارا الأشهر الستة المقبلة في الخفاء في دار السلام وبراغ. خلال هذا الوقت أعد مذكراته عن تجربة الكونغو، وكتب مسودات لكتابين آخرين واحد عن الفلسفة والآخر عن الاقتصاد. ثم زار عدة بلدان في أوروبا الغربية لاختبار أوراق هويته المزيفة، التي زورها في الاستخبارات الكوبية لسفاره إلى اميركا الجنوبية لاحقاً. عندما كان جيفارا يستعد للذهاب إلى بوليفيا كتب رسالة إلى أطفاله الخمسة لتقرأ عند وفاته، والتي انتهت بوصيه:

وفوق كل شيء كونوا قادرين دوماً على الإحساس بالظلم الذي يتعرض له أي إنسان مهما كان حجم هذا الظلم وأياً كان مكان هذا الإنسان هذا هو أحمل ما يتصف به الثوري وداعاً إلى الأبد يا أطفالي وإن كنت لا زلت أمل أن أراكم مرة أخرى لكم جميعاً قبلة كبيرة وحضن كبير كبير من بابا.





بوليفيا

مكان جيفارا ظل مخفيا عن العامة. ممثلو حركة استقلال موزامبيق وجبهة التحرير الموزمبيقية، ذكرت أنها التقت بجيفارا في أواخر عام 1966 أو أوائل 1967 في دار السلام فيما يتعلق بعرضه للمساعدة في مشروعاتهم الثورية والتي قوبلت بالرفض في نهاية المطاف. أعلن اللواء خوان الميدا القائم بأعمال وزير القوات المسلحة في الخطاب الذي ألقاه في عام 1967 لعيد العمال أمام حشد في هافانا أن جيفارا كان "في خدمة الثورة في مكان ما في أميركا اللاتينية". التقارير المستمرة عن أنه كان يقود الثوار في بوليفيا تبين في نهاية المطاف أنها كانت صحيحة.

بناء على طلب كاسترو تم شراء قطعة أرض من الغابات الجافة الجبلية في منطقة نائية بنانكاهاوزو من قبل الشيوعيين الأصليين في بوليفيا لتشي جيفارا حتى يستخدمها كمنطقة تدريب ومعسكر لقاعدة الثوار.





التدريب في هذا المخيم في وادي نانكاهازو أثبت أنه أكثر خطورة من القتال بالنسبة إلى جيفارا والكوبيين الذين يرافقونه. تم انجاز القليل في سبيل بناء جيش حرب العصابات. المتحدثة السابقة للستازي هايدي تامارا بونكة بايدر، كان قد تم تعيينها وكيله رئيسية في لاباز، وأفيد أيضا أنها كانت تعمل لحساب الكي جي بي وقالت مصادر غربية عدة انها خدمت بدون قصد المصالح السوفياتية حيث دلت السلطات البوليفية على درب جيفارا.

قوة جيفارا التي بلغ عددها نحو 50 شخص التي كانت تعمل تحت اسم جيش التحرير الوطني (جيش التحرير الوطني لبوليفيا) كانت مجهزه تجهيزاً جيداً وحقق عددًا من النجاحات المبكرة ضد بوليفيا في هذه المنطقة الوعرة من كاميري الجبلية. ولكن في سبتمبر / أيلول تمكن الجيش من القضاء على اثنين من جماعات حرب العصابات في معركة عنيفة وتردد أنها قتلت واحدا من القادة.

خطة جيفارا لتأجيج ثورة في بوليفيا فشلت وعلى ما يبدو كان ذلك للأسباب التالية :



كان يتوقع أن يتعامل فقط مع الجيش البوليفي، الذي كان سيئ التدريب والتجهيز. بدلاً من ذلك لم يكن جيفارا على علم بأن الحكومة الأمريكية قد أرسلت فريقاً من وكالة المخابرات المركزية من قوات الكوماندوس الخاصة قسم النشاطات وناشطين آخرين إلى بوليفيا للمساعدة في جهود مكافحة التمرد. الجيش البوليفي تم تدريبه ونصحه، من قبل القوات الخاصة الأمريكية بما في ذلك كتيبة نظمت مؤخراً تحتوى على نخبة من رينجرز الذين تدربوا في حرب الادغال وأقامت معسكراً في لاسيرانزا وهي مستوطنة صغيرة قريبة من مكان جيفارا وفرقته.

جيفارا كان يتوقع المساعدة والتعاون من المنشقين المحليين وهو ما لم يحدث، كما أنه لم يحصل على الدعم من الحزب الشيوعي في بوليفيا، تحت قيادة ماريو مونخي، والذي كان متوجهاً نحو موسكو بدلاً من هافانا. كتب جيفارا في مذكراته الخاصة التي تم الحصول عليها بعد وفاته انه كان منزعج بسبب الشكاوى حول الحزب الشيوعي في بوليفيا، التي وصفها بأنها "انعدام في الثقة، وخائنه وغيبه."»



كان يتوقع أن يبقى على اتصال لاسلكي مع هافانا. ومع ذلك، فإن أجهزة الاتصال الاثنى من الموجات القصيرة التي وفرتها له كوبا كانت معيبة، وهكذا أصبح المقاتلين غير قادرين على التواصل مع كوب ولم يتم إسقاط أى امدادات لهم مما جعلهم معزولين ومحاصرين.

بالإضافة إلى ذلك، اختيار جيفارا المعروف للمواجهة بدلاً من التوصل لحل وسط كان قد سبق وأن ظهر على السطح خلال حملة حرب العصابات في كوبا، وساهم هذا في عدم قدرته على تطوير علاقات عمل ناجحة مع القادة المحليين في بوليفيا، تماماً مثل الذي حدث في الكونغو. هذا الأمر كان موجوداً في كوبا، ولكن تدخل فيدل كاسترو ساعد في توجيهه في الوقت المناسب.

النتيجة النهائية هي أن جيفارا كان غير قادر على اجتذاب أي من سكان المنطقة المحليين للانضمام إلى الميليشيا التابعة له خلال 11 شهراً التي حاول خلالها تجنيد المجندين. قرب نهاية المشروع اشتكى جيفارا في مذكراته أن "الفلاحين لا يقدمون لنا أي مساعدة ويتحولون إلى مخبرين."





اعتقال وإعدام

تحول فيليكس رودريغيز، وهو منفي كوبي إلى مخبر لصالح وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية في قسم النشاطات الخاصة، وساعد القوات البوليفية أثناء مطاردتها لجيفارا في بوليفيا. في يوم 7 أكتوبر أبلغ مخبراً القوات البوليفية الخاص بموقع جيفارا وفرقته في معسكر بواد جورو، قامت القوات بمحاصرة المنطقة، وجرح جيفارا وأسر حين كان يحاول قيادة الفرقة مع "سيمون كوبا سارابيا". ذكر "جون لي اندرسون" كاتب سيرة تشي في تقاريره عن رواية الرقيب البوليفي برناردينو اوانكا: أن جيفارا أصيب مرتين وعندما أصبحت بندقيته عديمة الفائدة هتف "لا تطلقوا النار! أنا تشي جيفارا، وأساوى حياً أكثر من ميتاً".

تم تقييد جيفارا واقتيد إلى مبنى مدرسة مهالك بني من الطين في قرية قريبة من قرية لا هيغويرا مساء يوم 7 أكتوبر، بعد يوم ونصف رفض جيفارا أن





يتم استجوابه من قبل ضباط بوليفيين، وتكلم بهدوء إلى الجنود البوليفيين فقط، واحد من هؤلاء الجنود البوليفيين كان قائد طائرة هليكوبتر يسمى "نينو خايمي دي غوزمان" ووصف حالة تشي أنها "مروعة" ووفقا لغوزمان أطلق الرصاص على جيفارا في ربلة الساق اليمنى وشعره كان متعقد بالتراب وكانت ملابسه ممزقة وقدميه كانتا مغطاتين بأغمد الجلود الخشنة، وعلى الرغم من مظهره المنهك يروي غوزمان أن "تشي رفع رأسه عالياً ونظر للجميع مباشرة ولم يسأل عن شيء إلا الدخان".

يقول دي غوزمان إنه "أسفق" عليه وأعطاه حقيبة صغيرة من التبغ ثم ابتسم جيفارا وشكره. في ليلة 8 أكتوبر قام جيفارا على الرغم من كونه مقييد من يديه بكل الضابط البوليفي اسبينوزا على الحائط، بعد أن حاول الضابط انتزاع غليون جيفارا من فمه كتذكاري. في مثال آخر للتحدي، بصق جيفارا في وجه الاميرال البوليفي اوجاتاشي قبل إعدامه بوقت قصير.

في صباح الغد في 9 تشرين الأول طلب جيفارا مقابلة (مدرسة) من القرية، وهي جوليا كورتيز التي تبلغ من العمر 22 عاماً، كورتيز ذكرت في وقت لاحق أنها وجدت جيفارا "رجل مظهره مقبول ولديه نظرة بسيطة ولمحة من السخرية" وخلال المحادثة وجدت نفسها غير قادرة على النظر في عينيه مباشرة لأن النظرة كانت لا تطاق، خارقة وهادئة. خلال المحادثة القصيرة شكّا جيفارا لكورتيز عن الحالة السيئة للمدرسة مشيراً إلى أنها مضادة لتربية وهو من غير المتوقع أن طلاب الكامبيسينو يتعلمون هنا في حين أن "المسؤولين الحكوميين يحصلون على سيارات مرسيديس"... قائلاً ان هذا هو ما نحاربه.

وفي صباح ذلك اليوم يوم 9 أكتوبر أمر الرئيس البوليفي رينيه باريننتوس بقتل جيفارا، كان الجلاد يدعى ماريو تيران رقيب نصف مخمور في الجيش البوليفي الذي كان قد طلب إطلاق النار على تشي استناداً إلى حقيقة أن ثلاثة من أصدقائه يدعون "ماريو" من الفرقة (ب)، قد قتلوا في وقت سابق من قبل عصابة جيفارا المسلحة خلال الاشتباكات. لجعل الأعيرة النارية



متسقة مع القصة التي كانت الحكومة تخطط بنشرها للجمهور امر فيليكس رودريغيز بإطلاق النار بعشوائية حتى يبدو أن جيفارا قد قتل في خلال اشتباك مع الجيش البوليفي.

قبل لحظات من إعدام جيفارا سأل عما إذا كان يفكر في حياته والخلود. أجاب : "لا أنا أفكر في خلود الثورة." ثم قال تشي جيفارا للجلاد " أنا أعلم أنك جئت لقتلي اطلق النار يا جبان انك لن تقتل سوى رجل. " تردد تيران، ثم أطلق النار من بندقيته النصف آلية، لتصيب جيفارا في الذراعين والساقين، ثم سقط جيفارا على الأرض وعلى ما يبدو قضم رباط معصميه ليتجنب الصراخ، ثم أطلقت عدة أعيرة أخرى، مما أدى إلى إصابة قاتلة في الصدر الساعة 1:10 هذا كله وفقاً لرودرiguez. اصيب جيفارا بتسعة أعيرة نارية في مجموعهم، شمل هذا على خمس مرات في الساقين، مرة واحدة في كتفه الأيمن والذراع الأيمن، ومرة واحدة في صدره، وطلقه واحدة في الحلق.



مرحلة ما بعد تنفيذ الاعدام، الرفات والنصب التذكاري

تم بعد ذلك تم إرسال جثة جيفارا في طائرة مروحية ونقلت إلى قرب من فالقراندي حيث التقطت صور فوتوغرافية لجثة والتي وصفها الموديفار لصحيفة سان فرانسيسكو كرونكل بأنها تشبه "المسيح" على البلاط الخرساني في غرفة الغسيل في مستشفى نوسترا سينورا دي مالطا. ذكرت مذكرة سرية مؤرخة في 11 أكتوبر 1967 من رئيس الولايات المتحدة ليندون جونسون ومستشار الأمن القومي والت ويتمن روستو أن قرار قتل جيفارا غبي ولكن مفهوم من وجهة النظر البوليفية. بعد تنفيذ الاعدام حصل رودريغيز على متعلقات جيفارا الشخصية بما في ذلك ساعة اليد روليكس تغ ماجستير في التي استمر في ارتداءها لسنوات عديدة وكثيراً ما كان يظهرها للصحفيين خلال السنوات التي تلت ذلك الاغتيال.

بعض هذه الممتلكات بما في ذلك بطارية معروضة في وكالة الاستخبارات المركزية. بعد أن قام الطبيب العسكري ببيتر يديه قام ضباط من الجيش البوليفي بنقل جثمان جيفارا إلى مكان غير معلوم ورفض الكشف عن ما إذا سيتم دفنها أو حرقها. وحفظت الأيدي في الفورمالين ليتم إرسالها إلى بوينس آيرس من أجل التعرف على بصمات الأصابع. (بصماته كانت في ملف لدى الشرطة الأرجنتينية) تم إرسالهم لاحقاً إلى كوبا.

اعترف فيدل كاسترو يوم 15 أكتوبر أن جيفارا مات وأعلن الحداد العام ثلاثة أيام في جميع أنحاء الجزيرة. في 18 أكتوبر / ألقى كاسترو خطاباً أمام حشد من مليون شخص من المعزين في هافانا في ساحة الثورة وتحدث عن جيفارا باعتباره شخصية ثورية. أنهى فيدل كاسترو خطاب التابين بشكل حماسي قائلاً :

«إذا كنا نود أن نفصح عن ما نريده من رجال الأجيال القادمة أن يكونوا



عليه، فعلينا أن نقول : دعمهم يكونوا مثل تشي! إذا أردنا أن نقول كيف نريد لأطفالنا أن يتعلموا، فعلينا أن نقول بلا تردد : نريد منهم أن يتعلموا بروح تشي! إذا أردنا أن نمودجاً للرجل الذي لا ينتمي إلى عصرنا بل إلى المستقبل، فأقول من أعماق قلبي أن هذا الأنموذج، من دون أي مأخذ على سلوكه ومن دون أي مأخذ على عمله، هو تشي!«»

تحدث المفكر الفرنسي ريجيس دوبريه الذي اعتقل في أبريل 1967 عندما كان مع جيفارا في بوليفيا في مقابلة من السجن في أغسطس 1968 بشكل موسع حول ظروف القبض على جيفارا، قال دوبريه الذي عاش مع جيفارا والعصابة من المقاتلين لفترة قصيرة، أن في رأيه هم ضحايا الغابات والتهمة الغابة. وصف دوبريه حالة الفقر المدقع، حيث عانى رجال جيفارا من سوء التغذية ونقص المياه وعدم وجود الأحذية وكانوا يمتلكون ستة بطانيات فقط لـ 22 رجلاً. يروي دوبريه أن جيفارا وغيرهم كانوا يعانون من مرض ما أدى إلى تورم أيديهم وأرجلهم إلى اكوام من اللحم لدرجة أنك



لا تستطيع تمييز أصابع أيديهم. وصف دوبري جيفارا بأنه "متفائل لمستقبل أمريكا اللاتينية" على الرغم من الوضع السيء، ولاحظ أن جيفارا كان "خلص بأن موته سيكون نوعاً من الدعوة للنهضة" مشيراً إلى أن تصور جيفارا عن الموت "وعد لولادة جديدة" و"طقوس تجديد".

في أواخر عام 1995 كشف الجنرال البوليفي المتقاعد ماريو فارغاس لجون لي اندرسون مؤلف (كتاب تشي جيفارا : حياة الثوري) أن جثمان جيفارا يقع بالقرب من مهبط الطائرات في فالليغراندي. وكانت النتيجة لهذا الكلام بحث دولي عن رفات، والذي استمر أكثر من عام، في يوليو 1997 قام فريق من الجيولوجيين الكوبيين والأرجنتينيين والطب الشرعي باكتشاف بقايا سبع جثث في مقبرتين جماعيتين، بما في ذلك رجل واحد مبتور اليدين (مثل جيفارا)، الحكومة البوليفية مع مسؤولي بوزارة الداخلية قاموا لاحقاً بالتعرف على جثة جيفارا عبر الأسنان حيث كانت مطابقة تماماً لقلب من الجص لأسنان تشي تم عملها في كوبا قبل رحلته الكونغولية، النقطة الفاصلة كانت عندما وجد الأرجنتيني اليخاندرو انشاوريجوى الانثروبولوجيا الشرعي في الجيوب الداخلية لسترة زرقاء وجدت بجوار الجثة مقطوعة الأيدي على حقيبة صغيرة من تبغ الغليون، كان نينو دي غوزمان قائد طائرة الهليكوبتر البوليفي قد أعطى تشي حقيبة صغيرة من التبغ، في وقت لاحق أشار إلى أنه كانت "لديه شكوك جدية" في البداية و"ظن أن الكوبيين سيقومون بالعثور على أي عظام قديمة ويطلقوا عليها اسم تشي"، ولكنه ذكر "بعد أن سمعت عن حقيبة التبغ لا يساورني أدنى شك في أنه هو. في 17 تشرين الأول 1997 تم دفن بقايا جيفارا مع ستة من رفاقه المقاتلين مع مرتبة الشرف العسكرية في الضريح الذي تم بناؤه خصيصاً في مدينة سانتا كلارا حيث كان قائداً للإنتصار العسكري الحاسم في الثورة الكوبية.

عندما تم القبض على جيفارا كانت معه مذكرات مكتوبة بخط اليد من 30.000 كلمة ومجموعة من قصائده الشخصية وقصة قصيرة من تأليفه حول شاب شيوعي في حرب العصابات الذي يتعلم التغلب على مخاوفه. يومياته وثقت الأحداث التي جرت في حملة حرب العصابات في بوليفيا منذ

اختصاراً
لشبه





دخوله أول يوم في 7 نوفمبر 1966 بعد وصوله إلى مزرعة فينانكاهاوزو، وأخراها بتاريخ 7 أكتوبر 1967 قبل يوم من إلقاء القبض عليه، اليوميات تروي كيف أجبروا على بدء العمليات قبل الأوان نتيجة لاكتشافهم من قبل الجيش البوليفي، ويوضح جيفارا قرار تقسيم الفريق إلى وحدتين غير أنه أصبح غير قادر على إعادة الاتصال بهم، ويصف المشروع بأنه فاشل عموماً، كما يسجل الصدع بين جيفارا والحزب الشيوعي في بوليفيا الذي أسفر عن حصول جيفارا على عدد أقل بكثير من الجنود مما كان متوقعاً أصلاً وببين جيفارا أنه كان يعاني من قدر كبير من الصعوبة في تجنيد السكان المحليين، ويرجع ذلك جزئياً إلى حقيقة أن المجموعة تعلمت لغة كيشوا غير مدركة أن اللغة المحلية كانت توبي غواراني. مع إقتراب نهاية الحملة الغير متوقعة وحالة جيفارا الصحية التي أصبحت تزداد سوء، حيث كان يعاني من نوبات الربو المتفاقمة ومعظم الهجمات الأخيرة نفذها لغرض المحاولة للحصول على الدواء.

سرعان ما تم ترجمة يوميات بوليفيا بشكل سطحي من قبل مجلة رامبارتس ووزعت في جميع أنحاء العالم. هناك ما لا يقل عن أربعة مذكرات إضافية. والتي تكشف كل واحد منها جانب إضافي للأحداث، في يوليو 2008 اكتشفت الحكومة البوليفية يوميات جيفارا المختومة سابقاً والتي تتألف من دفترين من الدفاتر المتوترة، جنباً إلى جنب مع سجل لعدة صور بالأسود والأبيض. أعلن نائب وزير الثقافة البوليفي بابلو غرو عن أن هناك خطأً لنشر صور لكل صفحة مكتوبة بخط اليد في وقت لاحق من هذا العام.





التراث

أكثر من خمسين عاماً من إعدامه وتراث تشي وحياته لا يزالان مسألة خلاف. نقاط متناقضة مختلفة من حياته خلقت الطابع المعقد الازدواجي اللانهائي، نتيجة لاستشهاده وأولئك المتذرعين بالشعرية للصراع الطبقي والرغبة في خلق وعي جديد لرجل يقودها من الجانب الأخلاقي بدلاً من أجل الحوافز المادية، تحول جيفارا إلى الرمز المثالي للحركات اليسارية. قد تنظر مجموعة لتشي جيفارا باعتباره بطلاً، على سبيل المثال أشار نيلسون مانديلا بأنه "مصدر إلهام لكل إنسان يحب الحرية" في حين وصفه جان بول سارتر بأنه "ليس فقط مثقف ولكنه أيضاً أكمل إنسان في عصرنا. ومن الذين أبدوا إعجابهم بجيفارا أيضاً الكاتب غراهام غرين الذي لاحظ أن تشي "يمثل فكرة الشهامة والفروسية والمغامرة"، وسوزان سونتاغ التي شرحت أن "هدف (تشي) ليس أقل من القضية الإنسانية نفسها. في المجتمعات السوداء أعلن الفيلسوف فرانز فانون جيفارا "رمزاً للعالم عن إمكانيات رجل واحد"، في حين أن حزب الفهود السود ورئيسها ستوكلي كارمايكل نعى قائلاً "تشي جيفارا لم يمت أفكاره لا تزال معنا".





الثناء انعكس على جميع أنحاء الطيف السياسي، مع الرأسمالية التحرري المنظر موراي روثبارد مجّد جيفارا على أنه شخصية "بطولية" معرباً عن أسفه لوفاته "أكثر من أي رجل في عصرنا أو حتى في قرننا هذا، (تشي) كان تجسيدا حياً لمبدأ الثورة"، في حين أن الصحفي كريستوفر هيتشنز علق بأن "موت تشي كان يعني الكثير بالنسبة لي ولعدد لا يحصى أيضاً من أمثالي في ذلك الوقت، كان نموذجاً يحتذى به، وإن كان واحد من المستحيلات بالنسبة لنا البرجوازيين الرومانسيون حيث ذهب وقام بما يفعله الثوار حارب ومات بسبب معتقداته. لا يزال جيفارا البطل الوطني المحبب للكثيرين في كوبا، مازالت صورته تزين البيزو الكوبي وطلاب المدارس يتعهدون كل صباح قائلين "سنكون مثل تشي". في وطنه الأصلي الأرجنتين، تحمل مدارس ثانوية اسمه، والعديد من المتاحف المنتشرة في البلاد تحمل اسمه، في عام 2008 تم كشف النقاب عن تمثال البرونز 12 قدم له في مدينة روزاريو محل ولادته. بالإضافة إلى ذلك جيفارا تم تنصيبه كقديس من قبل بعض الفلاحين البوليفيين باسم "سانت ارنستو" الذين يصلون له من أجل المساعدة.

على العكس تماماً ينفي ماكوفر أحد كتاب سيرته الذاتية، كونه بطلاً يستحق العبادة، ويصوره على أنه الجلاذ الذي لا يرحم. يجادل المعارضون بأن في كثير من أنحاء أميركا اللاتينية، الثورات المستوحاة من تشي كانت نتيجة عملية لتعزيز النزعة العسكرية الوحشية والصراع الداخلي لسنوات عديدة. ألفارو فارغاس لوسا من إحدى المعاهد المستقلة افترض أن أتباع جيفارا المعاصرون "يخدعون أنفسهم بالتشبهت بخرافة" بينما وصف جيفارا بأنه البروتستانت الماركسي الذي استخدم سلطته العقائدية لقمع المعارضة، في حين عمل أيضاً بدم بارد مما أسفر عن قتل. كما اتهم لوسا جيفارا "بالمصرف المتعصب" باعتباره الركيزة الأساسية للسوفيات في الثورة الكوبية، وتكهن بأنه تابع مجموعة من الواقعية تؤمن بالعقيدة الايديولوجية العمياء. جيفارا لا يزال يشكل شخصية مكروهة في أوساط كثيرة من المجتمع الكوبي في المنفى الذين ينظرون إليه بعداء ويسمونهم جزار لا كابانا. حفيد جيفارا الذي



يعيش في المنفى - كانك سانشيز جيفارا - أصبح أيضاً في الآونة الأخيرة من أشد منتقدي النظام الكوبي الحالي.

أصبح وجهه الرفيع المرسوم الصورة بلون واحد واحداً من أكثر الصور انتشاراً وعالمية في العالم التي يتم تسويقها يمكن العثور عليها في مجموعة لا حصر لها من المنتجات، بما في ذلك القمصان والقبعات والملصقات والوشم، من السخرية أنها تسهم في ثقافة المستهلك التي كان يحتقرها، ومع ذلك لا يزال جيفارا شخصية يتم ذكرها على وجه التحديد، سواء في السياقات السياسية أو على النطاق الشعبي الواسع كرمز للتمرد الشاب.



أممية تشي وعلاقته بالماركسية

ارتبط تشي غيفار ارتباطاً وثيقاً بالماركسية اللينينية في شبابه حيث كان عضواً في الشبيبة الشيوعية الأرجنتينية، أممية وثورية تشي وارتباطه المميز بالفقراء والمنبوذين في كل مكان، ورفضه الاعتراف بقداصة الحدود القومية في الحرب ضد إمبريالية الولايات المتحدة، ألهمت الحركات الراديكالية الجديدة في العالم كله. نادى تشي الراديكاليين لنحول أنفسنا إلى شيء جديد،

أن نكون اشتراكيين قبل الثورة، هذا إذا ما كان مقدراً لنا أن يكون لدينا أمل في أن نحقق فعلاً الحياة التي نستحق أن نعيشها.

ندأوه "بأن نبدأ العيش بطريقة لها معنى الآن" تردد صدها عبر الجيل بأكمله، فاتحاً ذراعيه ليصل بدرجة كبيرة من ناحية إلى ثورية ماو ومن ناحية أخرى ممتداً نحو ماركس. من خلال الحركة، ومن خلال انتزاع مباشرة الثورة عن طريق الاشتباك مع الظلم بكل أشكاله،

في كل لحظة، ومن خلال وضع مثاليات الماركس فوراً في الممارسة العملية، صاغ تشي من التيارات الفلسفية المعاصرة والماركسية من جهة من أنصار الماركس، نظراً لظروف حياته قريبة من الماركس في الممارسة (الماركسية الماركسية).

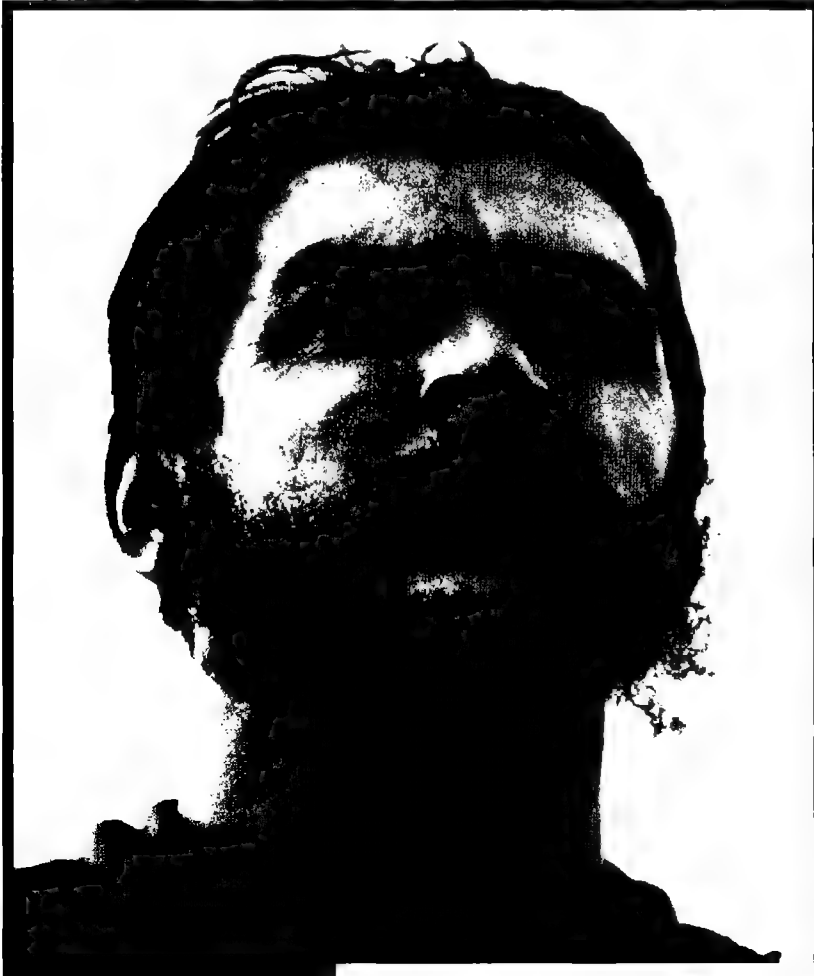
في تشي غيفار، الماركس ليس مجرد نظرية، بل هو أسلوب حياة، وهو أسلوب حياة من رجال حرب العصابات لتكون، كما كان يتعالم، عملاً مساعداً على الإلهام بالثورة، ولم ينس أن يمزج بمصر والجزائر في طريقه ليلتقي الزعيم المصري جمال عبد الناصر والرئيس الجزائري أحمد بن بلة الذين كانا رموزاً للثورة العربية آنذاك.





الرمز والأسطورة

عام 1968، غضب شبان العالم وخرجوا إلى الشوارع معلنين أنهم يستطيعون إنهاء الحروب وتغيير ملامح العالم، وقد تحول هذا الرجل الثائر بعد موته إلى شهيد لقضاياهم. أصبح يمثل احلام ورغبات الملايين ممن يحملون صورته. علماً أنه كان يمثل أيضاً مجموعة من التناقضات، وكان الموت حول ملامحه، ما يوحي بأنه لو منحه أعداؤه الحق في الحياة، لربما عجزت أسطوره عن احتلال هذا المدى العالمي الذي تنعم به اليوم.





أعماله أدبية

كمعظم الشباب اليساريين في فترات الدراسة في النصف الأول من القرن الماضي، مارس جيفارا الكتابة شعرا ونثرا، ومن أعماله قصيدة ماريّا العجوز التي تكشف عن جانب من شخصية جيفارا:

ماريا العجوز ستموتي أحدثك بجدية
كانت حياتك مسيحة من الصعاب
أنكر عليك حياة الأمل
ولا تطلبي الموت رحمة
لتشاهدي غزلائك الهجين تكبر
لا تفعلها لا تفعلها





من كتبه

- كتاب حرب العصابات أو حرب الغوار
- كتاب الاشتراكية والإنسان في كوبا
- كتاب مذكرات عن الحرب الثورية
- كتاب 41 عام على الرحيل
- كتاب يوميات بوليفيا الكاملة
- كتاب يوميات دراجة نارية أو رحلة في أمريكا اللاتينية
- كتاب بعد انتصار الثورة
- كتاب تشي جيفارا 1
- كتاب تشي جيفارا 2
- كتاب تشي جيفارا 3
- كتاب تشي جيفارا 4
- كتاب مقالات العسكرية

كما أن الكاتب غروسك فولف قد قام بتأليف كتاب أحلامي لا نعرف حدوداً
في سيرة حياة جيفارا

افتخار





أليدا جيفارا تتحدث عن زوجها

من خلال عروض الصحف الإنجليزية عن الكتاب استطعت تجميع بعض خيوط هذه المذكرات التي ترسم فيها أليدا صورة للعلاقة التي جمعتها بجيفارا، راصدة قصة حبهما التي بدأت منذ أن تعارفا في منتصف خمسينيات القرن الماضي. هذا فضلا عن علاقة جيفارا بأطفاله.

في مقدمة هذه المذكرات، التي تتناول تفاصيل حياة أليدا مع جيفارا خلال ست سنوات في كوبا منذ قيام الثورة الكوبية في عام 1959 حتى عام 1965، تشير أليدا إلى أنها لم تعط الصحفيين في الماضي أى مذكرات، ولن تعطى في المستقبل، وكل ما لديها "مكتوب هنا في هذا الكتاب".

تزوجت أليدا من جيفارا في يونيو عام 1959 في أتون انتصار الثورة الكوبية وعاشت معه حتى 1965 قبل أن يتوجه الثائر الكبير الى الكونغو لمساندة حرب التحرير التي كان يشنها باتريك لومومبا بوصفها وسيلة لدفع حركة مناهضة الإمبريالية في القارة الأفريقية. وكان الزوجان قد تعرفا على بعضهما البعض في عام 1955. وأشتركا معا في الإعداد للثورة الكوبية. وعن طريق أليدا قرأ جيفارا الكلاسيكات الماركسية لماركس وإنجلز فضلا عن بعض أعمال لينين وماو.

وتعتبر هذه الزيجة هي الثانية في حياة جيفارا، حيث تزوج لأول مرة من هيلدا جايدا في عام 1955 وحدث الطلاق بينهما في مايو من عام 1959. وأسفر هذا الزواج عن ابنه واحدة هي هيلدا جيفارا (ولدت في 1956 و ماتت في 1995). أما أليدا مارش فقد أنجبت من جيفارا أربعة أطفال هم وكاميليو وسيليا وإرنستو وأختهم الكبرى التي تحمل نفس الاسم: أليدا التي زارت مصر منذ ثلاثة سنوات.

أحد المقالات التي كتبت عن مذكرات أليدا زعمت أنها لم تهتم بإيراز صورة جيفارا السياسي وفضلت الحديث عن الرجل في حياته كزوج وأب. لكن

اوقات



بروي أسطور



عروض أخرى للمذكرات رصدت الاتصال ما بين حياة جيفارا العادية وحياته النضالية.

فمثلا أوردت اليدا مطلب جيفارا بأن يكون عرسهما صغيرا ومحدودا. إلا أن راؤول كاسترو (شقيق فيدل كاسترو) اكتشف أمر زواجهما فنظم حفلة كبيرة للغاية، تجاهل أن يدعو فيها أخيه فيدل. وتسرد اليدا أن فيدل سمع بطريقة ما عن حفلة الزواج وحضر إليها بالفعل شاكيا من أن أحدا لم يدعه، الأمر الذي جعله ينصرف على الفور.

قصة أخرى توردها اليدا وهي عبارة عن هدية زواجهما التي لم تكن سوى زجاجة عطر، أما باقي الهدايا التي قدمت إليهما في حفلة زواجهما فقد قام جيفارا بإهدائها إلى بعض الفقراء الكوبيين.

وظل تقديم الهدايا إلى الفقراء هو طبيعة علاقتهما معاً، فسبق في أوائل الستينيات أن قدم إليها أحد الأشخاص هدية عبارة عن تلفزيون ملون، فما كان من زوجها إلا أن قدمها هدية هو الآخر لعامل في مصنع. ملمح آخر تكشف عنه اليدا في حياة جيفارا وهو حسه للذعابة، وتحكى أنه أرسل إليها مرة وهو في زيارة إلى المغرب بوسترا مكتوب عليه "لقد وددت لو كنت مخلصا لكن عليك أن ترى بنفسك هؤلاء المغربيات".





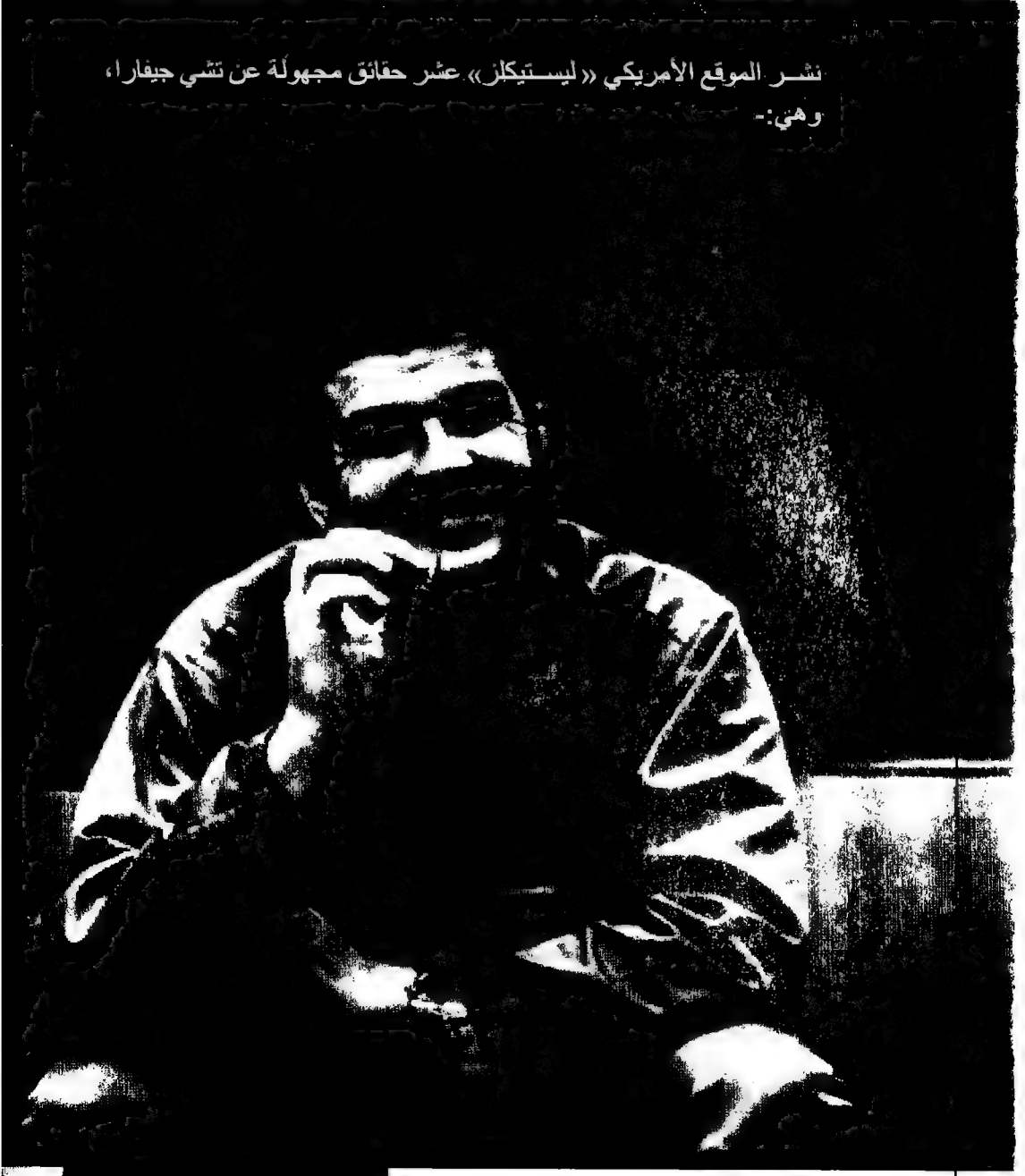
أبلغ الروايات أثرا في مذكرات اليدا الحادثة التي روتها قبيل مغادرة جيفارا إلى بوليفيا لدعم الثورة هناك (قتل فيها في 9 أكتوبر من عام 1967) ، حيث ارتدى ملابس رجل من بيرو يبلغ من العمر 60 عاما لكي يرى أطفاله قبل أن يغادر. وقدمته زوجته إلى الأطفال بوصفه صديقا لأبيهم واندمجوا معه في اللعب ولم يتعرفوا عليه. ووسط ضجتهم معه جرحت ابنته الكبرى (اليدا 7 سنوات في ذلك الوقت) مما جعله يعتنى بها بقلق وخوف. وعقب مغادرته أبلغت اليدا أمها أن هذا الرجل (الذي لم يكن سوى أبيها) واقع في حبها.

واخر ما كتب عن جيفارا وهو مذكرات أرملته اليدا مارش (ولدت عام 1937).

صدرت المذكرات حاملة عنوان "استعادة الذكريات: حياتي مع تشي"

10 حقائق صامدة عن تشي جيفارا

نشر الموقع الأمريكي «ليستيكلز» عشر حقائق مجهولة عن تشي جيفارا، وهي:-





1 - اسمه ليس جيفارا

اسم "تشبي جيفارا" قد يثير الحب أو الكراهية. هذا الاسم يصادف النضال من أجل الحرية بالنسبة للبعض بينما يعادل المذابح بالنسبة لآخرين. ما قد لا يعرفه الجميع أن اسمه الحقيقي كان "أرنستو لينش". اسم لا يحمل نفس تأثير "تشبي جيفارا"، لم يكن اسمه الحقيقي يدل على شيء قوي أو نافذ لكن الاسم الذي انتشر يحمل قصة مختلفة تمامًا.

2 - لم يكن يحب الاستحمام

لم يكن يستحم كثيرًا وكان وبكل فخر يرتدي «قميصًا أسبوعيًا»، أي أنه لم يكن يبدل قميصه سوى مرة في الأسبوع، خلال حياته، استهجنه الناس لهذه العادات إلا أنه لم يتغير أبدًا، ويبدو أن أحدا لم يستطع مواجهته في ذلك كونه يمتلك القوة على إعدام أي كائن بحركة من إصبعه.



3 - مولع بالقراءة و لعبة الشطرنج

أحبّ لعبة الشطرنج واشترك في مباريات احترافية، حيث كان مولعا بالشعر أما مواده المفضلة في المدرسة فكانت الرياضيات والهندسة.

4 - ليس كوبييا

الجميع يعرف جيفارا بأنه كوبييا بسبب أفعاله في كوبا، لكن الحقيقة أن تشي جيفارا ولد في الأرجنتين ولم يكن مواطنا كوبييا قط، عندما ولد يشاع أن والده قال إن الدم الذي يجري في عروق تشي يعود لثائر أيرلندي، غريب كيف يقوم شخص بتقديم الكثير من أجل بلد لم يكن حتى مواطنا فيها.

5- جيفارا الطبيب

أكمل تشي جيفارا دراسته
في الطب عام 1953،
نجح وتخرج ليصبح
دكتور أرنستو جيفارا،
يقال أيضًا إنه وخلال
فترة دراسته كان مهتمًا
جداً بمرض الجذام.



6 - أدان الأمم المتحدة في أول خطاب له بها

سافر تشبي جيفارا إلى الولايات المتحدة الأمريكية مرة واحدة ليلقي خطبة على الأمم المتحدة في عام 1964، وأدانها فيما يخص سياساتها حول

47 زوج مران ولد في عام

ولدت ابنته البكر في 15 فبراير عام 1956
في مكسيكو سيتي، وتسميت باسم ماريانا،
زوجته الأولى ميلدا خالدا، أما زوجته الثانية
اليدا مارك فقد أنجبت منه أربعة أطفال.



8 - بتر يديه

بعدما أعدم نسي جيفارا، قام طبيب عسكري ببتر يديه، نقل الجيش البوليفي الجثة إلى مكان سري، حتى الآن غير مؤكد إذا ما كانت جثته دفنت أو أحرقت. غير أن يديه حفوظ عليها وأرسلت إلى بيونيس آيريس ليتم مقارنة البصمات بتلك التي تحتفظ بها الشرطة الأرجنتينية في ملف خاص به. فيما بعد، نُقلت يداه إلى كوبا.



9 - جيفارا أيقونة للسلع التجارية

تعتبر أيقونة تشي جيفارا من أكثر الصور المسلّعة والمتاجر بها، يمكنك أن تجدها على سلع كثيرة كالشارات، القمصان، الأعلام، السجاجيد، الملصقات، الأوشام وحتى على المايوهات، التصميم الأيقوني من أحد الأشياء التي كرهها، الصورة الأصلية تم التغطاها بواسطة البيرتو كوردا في حفل تأبيني، في ذلك الوقت طبعاً، كان الوحيد الذي أعجب بتلك اللقطة، لم يكن يعرف أنها ستحقق نجاحاً ساحقاً في السنين المقبلة.





10 - أطفال يقسمون كل صباح بأن يكونوا مثل القديس جيفارا في قلوب الكثيرين في كوبا، يظل أرنستو بطلاً، يقسم الأطفال في المدارس كل صباح بأنهم سيصبحون مثل تشي جيفارا، في وطنه الأصلي، الأرجنتين، خلدت ذكراه بعدة متاحف وفي عام 2008 كشف النقاب عن تمثال برونزي يبلغ طوله اثني عشر قدماً في روزاريو، مسقط رأسه، بعض الفلاحين البوليفيون يعتبرونه قديساً ويصلون إليه من أجل المساعدة، بالطبع الكنيسة الكاثوليكية لا تعتبره كذلك ولكن ذلك لا يبذل رأي الجماهير التي تعشقه.



مذكرات جيفارا في ذاكرة العالم

قامت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة "اليونسكو"، بضم كتابات الزعيم الثوري أرنستو تشي جيفارا إلى سجل ذاكرة العالم، والتي تضم الوثائق والنصوص الأصلية لكتابات جيفارا بدءاً من يومياته في شبابه باسم "يوميات الدراجة النارية"، وانتهاءً بمذكراته في جبال بوليفيا حيث تم إعدامه عام 1967.

المخطوطات تعتبر الآن ضمن التراث العالمي، وسوف يتم حفظها والعناية بها من قبل منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم، ويتألف سجل ذاكرة العالم من نحو 300 وثيقة مجموعة من خمس قارات، وأعمال جيفارا هي من بين 54 وثيقة أضيفت العام الجاري.

وحضرت أرملته وابنته وولده مراسم حفل أقيم في العاصمة الكوبية هافانا للاحتفال بإدراج الوثائق ضمن سجل ذاكرة العالم.

فبعد أكثر من نصف قرن أعلنت كوبا عن نشر مذكرات «الرفيق إرنستو تشي جيفارا»، التي احتفظ بها خلال الكفاح المسلح، الذي خاضه برفقة فيدل كاسترو من سلسلة جبال سيرا مايسترا. ووفقاً لشبكة CNN الأمريكية فإن "مذكرات مقاتل" تحكى تجارب الثائر جيفارا، الذي أصبح رمزاً للثورة والثوار في مختلف أنحاء العالم وأيقونتهم، منذ وصوله سواحل كوبا في الثاني من ديسمبر عام 1956 حتى اللحظة التي أعلن فيها الثوار الملتحون النصر في الأول من يناير من عام 1959.

ووفقاً لأرملته جيفارا، أليدا مارتش، فإن الهدف من ذلك هو "الكشف عن عمله وأفكاره وحياته بحيث يعرفه الشعب الكوبي وشعوب العالم كله، ولا يتم تشويه الحقائق والأشياء بشأنه". وقام بإعداد المذكرات مركز دراسات تشي جيفارا، الذي تديره مارتش نفسها، ونشرته دار "أوشن برس/أوشن سور" الأسترالية، وقال الباحثون إن جيفارا احتفظ بمذكراته المكتوبة بخط

يده فى دفاتر ملاحظات، ويعود لذلك السبب جزئياً عدم نشر المذكرات، حيث إن بعض تلك دفاتر المذكرات تلك كانت مفقودة.

وقالت قائدة فريق البحث فى المركز، ماريا دل كارمن أريبيت، فى مؤتمر صحفى بمناسبة إطلاق المذكرات: "أين هى دفاتر الملاحظات؟ لا نعرف، كما أن هناك العديد من النسخ"، لكنها قالت كذلك إن جزءاً كبيراً من المادة تم تضمينه فى كتاب "فصول من الحرب الثورية الكوبية"، وهى رواية الثورة الأكثر شمولاً للفترة التى قضاها فى سلسلة جبال سيرا مايسترا كان جيفارا قد نشرها فى العام 1963.

وكانت بعض مذكرات جيفارا الأخرى قد حققت نجاحاً تجارياً، وأهمها، "مذكرات دراجة نارية"، والتى تشكل مذكرات طالب الطب البالغ من العمر 23 عاماً خلال رحلته فى أمريكا اللاتينية. يشار إلى أن جيفارا ولد فى الأرجنتين عام 1928 والتقى كاسترو فى العام 1955 فى المكسيك، حيث كان يعد لرحلة العودة إلى كوبا للإطاحة بنظام الدكتاتور فولجنسيو باتيستا.





ماذا قالوا عنه؟:

الثورة الكوبية ثورة قادها شعب ولم يقدها أشخاص

بقلم: أنطوني كابسيا

يعمل أنطوني كابسيا، مؤلف كتاب (القيادة في الثورة الكوبية... القصة غير المرئية)، أستاذًا للتاريخ الأميركي اللاتيني في جامعة نوتنغهام، وهو من كبار الخبراء في بريطانيا في الموضوع الكوبي، ويدير مركز الأبحاث الكوبية وقد نشر العديد من الأعمال في هذا المجال. يؤكد كابسيا بأن «فيدل كان دائما واعيا للحاجة الى منظمة وراء القيادة وواعيا لأهميتها للمسيرة الثورية» (ص3)، وعلى الرغم من دور الحزب الواحد «تكشف نظرة متمعنة عدة أمثلة كانت فيها النقاشات مفتوحة وعامة ومشجعة [...] وكانت الاختلافات في الرأي واضحة» (ص18). يقول كابسيا بأن فكرة «النقاش» كانت دائما مركزية في «مسيرة الثورة» وتتغذى من القرار المشترك المطور عبر التعبئة الجماهيرية وبنى الحزب (ص19-20).

اضطلع راؤول كاسترو رسميا في العام 2008 برئاسة كوبا، وقد اعتبر بعض المعلقين هذه اللحظة التاريخية بداية مرحلة ما بعد كاسترو. يضع الكتاب بنجاح أساس فهم لطبيعة التغير المعقدة للقيادة الكوبية، ويقدم تفصيلا واضحا للتحويلات التي طرأت على هذه القيادة، ويبين ببراعة تهافت التمثيلات التي تصورها فردية. يدرس مراحل القيادة في أربعة فصول مسبقة بتحليل لدور «نواة» قيادة الثورة، الثلاثي فيدل-جيفارا-راؤول، ويوفر، مع الوصف للكون الأيديولوجي لهؤلاء القادة، وصفا لدورهم قبل وخلال الثورة وسنواتها الأولى.

في الفصل الثاني يحلل تشكيل الطليعة التي، بعد فشل هجوم مونكادا، بدأت الثورة المضادة لباتيستا والثورة بحملة غرانما. في هذا الفصل يشرح بأن



الخطوة التي تمتع بها الثلاثة في صفوف الثوار ترجع الى براعتهم في القيادة خلال حرب عصابات سييرا، ومع ذلك يفند كابسيا فكرة تمحور الثورة حولهم مبينا بأن هذه الثورة ومنذ اللحظات الأولى كانت مشتركة القيادة وكان مع الثلاثة آخرون أبرزهم كاميلو سينفويغوس (ص 53). يعطي الفصل الثالث سردا لجهود توحيد مختلف مكونات الثورة وخصوصا بين حركة 26 حزيران وحزب الشعب الإشتراكي وفصائل داخل الحركة؟ رزت من ضغوط داخلية وخارجية مثل إبعاد طبقة محترفة كاملة عن سدة السلطة والحصار المفروض من قبل الولايات المتحدة منذ بدايات الستينيات (ص 62 - 86).

يحلل المؤلف في الفصل الرابع تشكيل «الحلقة الداخلية» للقيادة مرتبطة بالتجربة الثورية المبكرة، حرب العصابات في سييرا وعلاقتها بالناشطين في المناطق الحضرية Llanos وحزب الشعب الإشتراكي PSP، ويلقي الضوء على أهمية ثلاث نساء في «الحلقة الداخلية» تم التقليل من أهميتهن نوعا ما في التحليلات التاريخية التقليدية، فقد كن يقمن بمهمة الربط بين مقاتلي سييرا ومقاتلي المدينة وكذلك كان لهن تأثير في ترسيخ الإصلاحات، وهذه النسوة هن سيليا سانشيز، وفيلما إيسبن، وهيدي سانتاماريا.

الفصول التالية تحلل بسرد ممتع التغيرات في القيادة الكوبية وفقا للموجات الأيديولوجية والمستجدات التاريخية، فمثلا «الراдикаلية الجديدة» ما بين العامين 1963 و 1975 التي بدأت بـ«النقاش الكبير» بعد الأزمة الاقتصادية 1962-1963. تولد النقاش هنا من التزام المثقفين مترافقا مع بروز اليسار الجديد في أوربا (ص 118). يركز الفصل الخامس على الفترة 1975 - 1986 التي اتصفت بالروابط القوية مع الاتحاد السوفيتي (ص 132). يشير كابسيا على كل حال الى الفوارق بين النظام الكوبي والنظام السوفيتي وبيّن كيف أن متانة العلاقات بينهما تر؟ ع في جزء منها للضغوط الخارجية التي ولدها الحصار الأميركي، ويركز بالتالي على التغيرات في دائرة السلطة كنتيجة لمتانة العلاقة (ص 145 - 152).



بالمقابل يصف الفصل السادس عملية «التصحيح»، العودة الى أفكار ونماذج الستينيات، خصوصا انبعثت الأفكار الأساسية لشي جيفارا (ص 154). العملية قادت الى تغير آخر في «الحلقة الداخلية» للقيادة بإعادة الاعتبار الى القادة الذين همشوا في الفترة السوفييتية، كذلك يتحدث الفصل عن أزمة (1989 - 1994) الإقتصادية وجهد تجديد القيادة من خلال الإهتمام بالكفاءات القيادية المحلية والإسهام في إنقذ النظام (ص 161)، وبالتالي عبر «معركة الأفكار» التي أعلنت رسميا بعد سنة 2000، هذه المعركة التي خلقت «أنواعا جديدة من النقاش في المجلات، والأوساط الأكاديمية، ومراكز البحوث، وغيرها، لتنعكس بتغييرات أبعد مدى في القيادة.

إن قراءة هذا الكتاب بقدر ما هي جوهرية للأكاديميين والطلبة والخبراء في المسألة الكوبية فهي ضرورية لعموم القراء لفهم أعمق لعملية بناء الأمة ولدور العديد من الشخصيات التي لم تأخذ حقها في السرد التاريخي التقليدي.

فرانسكو دي فرناندو/ موقع كلية لندن للعلوم الإقتصادية والسياسية

رثاؤه

قال والت ويتمان روستو أن قرار قتل جيفارا غبي ولكن مفهوم من وجهة النظر البوليفية. اعترف فيدل كاسترو يوم 15 أكتوبر أن جيفارا مات وأعلن الحداد العام ثلاثة أيام في جميع أنحاء الجزيرة.

في 18 أكتوبر / ألقى كاسترو خطابا أمام حشد من مليون شخص من المعزين في هافانا في ساحة الثورة وتحدث عن جيفارا باعتباره شخصية ثورية. أنهى فيدل كاسترو خطاب التأبين بشكل حماسي قائلا: «إذا كنا نود أن نفصح عما نريده من رجال الأجيال القادمة أن يكونوا عليه، فعلينا أن نقول: دعهم يكونوا مثل تشي! إذا أردنا أن نقول كيف نريد لأطفالنا أن يتعلموا، فعلينا أن نقول بلا تردد: نريد منهم أن يتعلموا بروح تشي! إذا أردنا أن نمودجا للرجل الذي لا ينتمي إلى عصرنا بل إلى المستقبل، فأقول من أعماق قلبي أن هذا الأنموذج، من دون أي مأخذ على سلوكه ومن دون أي مأخذ على عمله، هو تشي!»

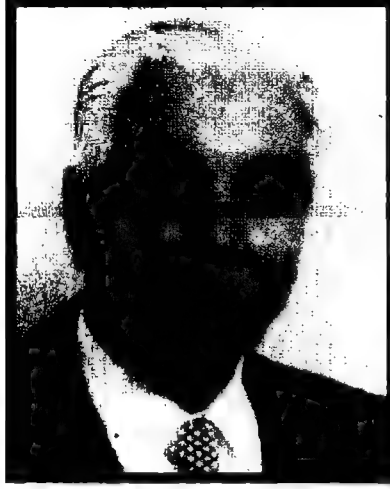




بينما رثا موت جيفارا الشاعر المصري الكبير أحمد فؤاد نجم عام 1968
في قصيدة سماها جيفارا مات،

عيني عليه ساعة القضا ...
من غير رفاقه تودعه ...
يطلع أنينه للفضا ...
يزعق ولا مين يسمعه ...
يمكن صرخ من الألم ...
من لسعة النار ف الحشا يمكن ضحك ...
أو ابتسم أو ارتعش أو انتشى ...
يمكن لفظ آخر نفس ...
كلمة وداع لجل الجياح ...
يمكن وصية للي حاضنين القضية ...
بالصراع صور كثير ملو الخيال ...
وآلف مليون احتمال ...
لكن أكيد ولا جدال ...
جيفارا مات مودة رجال ...





الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي في قصيدة هذا نصها:
عن موت طائر البحر مهداة إلى إرنستو تشي جيفارا

في زمن المنشورات السرية
في مدن الثورات المغدورة
جيفارا العاشق في صفحات الكتب المشبوهة
يثوي مغموراً بالثلج و بالأزهار الورقية
قالت و ارتشفت فنجان القهوة في نهم
سقط الفنجان لقاع البئر المهجور
رأيت نوارس بحر الروم تعود
لترحل نحو مدار السرطان
ونحو الأنهار الأبعد
في أعمدة الصحف الصفراء
يبيع الجزارون لحوم الشعراء المنفيين
العرافة قالت هذا زمن سقطت فيه الكتب
المشبوهة



والفلسفة الجوفاء
دكاكين الوراقين
طيور ميتة
فتعالى نمارس موت طيور البحر الأخرى
فوق سرير الحب الممنوع
انتحب في صمت فالليل طويل
في مدن الثورات المغدورة
والبحر الأبيض في قبضة بوليس الدول الكبرى
يبحث عن أسماء العشاق المشبوهين
رأيتك في روما في زمن المشورات السرية
بين ذراعي رجل آخر تمضين إلي
بكيت ، رأني البوليس وحيداً
خلف نوافذ ملهى القط الأسود أبكي مخموراً
ووراني خيط من نور يمتد لنا فذة أخرى
أشبعني الضابط ضرباً
وجدوا في جيبى صورتها
لللباس البحر الأزرق
ترنو للأفق المغسول بنور الغسق الباكي
ونار الليل القادم من مدريد
يبيع الجزارون لحوم الشعراء المنفيين
رأيتك في مبقى هذا العالم
في أحضان رجال و سماء تمضين الليل
بكيت ، رأني البوليس وحيداً
في مدن الثورات المغدورة
مجنوناً أتحدث عنك
البوليس رأني>>



والشاعرة كوليت ماتي أهدته هذه القصيدة:

رحين يشتعل الجمر
كنا سبعة عشر شخصاً تحت قمر صغير
كانت المسيرة خطيرة
إرنستو تشي جيفارا
حين يشتعل الجمر
علينا ألا نرى سوى الضوء
إرنستو تشي جيفارا
ثلاثون يوماً بين ريح
السييرا و غيومها
خلفنا البحر و السهول
و أمامنا حقول الأرز
الأشواك ، الغبار ، اللسعات
و الريح
ليس جلدنا إلا معطف الشقاء
احرق حقول القصب
حين يشتعل الجمر
علينا ألا نرى سوى الضوء
إرنستو تشي جيفارا
مضى على ذلك اثنتا عشرة سنة في مرفأ توكسبان
كانت النيران مطفاة و من الغرائم
كانت الصرة تخرج إلى الأبدية
عطر الورقة الكوبية
حين يشتعل الجمر
علينا ألا نرى سوى الضوء
إرنستو تشي جيفارا



ثمّة أراضٍ أخرى في هذا العالم
تطلب بقوتي المتواضعة
أترك لكوبا القسم الأطهر
من آمالي في البناء
و الإغراء من بين الكائنات
التي أحبها
التشريفات انها تربحني
حين يشتعل الجمر
علينا ألا نرى سوى الضوء
إرنستو تشي جيفارا
اضرب اليانكي بقسوة
يا أخي في غواتيمالا ، و في كولومبيا
في فنزويلا
اضرب اليانكي بقسوة
يا أخي في بوليفيا ، في البرازيل
اضرب اليانكي بقسوة
حين يشتعل الجمر
علينا ألا نرى سوى الضوء
إرنستو تشي جيفارا
لا يهم المكان الذي سيفاجتنا الموت فيه
ليكن قدومه سعدا
شرط أن يكون طلبنا مستجاباً
في أن تمتد أيادٍ أخرى
لتلتقط السلاح



أما الشاعر الفرنسي جان فرا فقد كتب:

غيريلا
ذوو اللحي السوداء
و البنادق
خف الأمتعة و الملابس العتيقة
كبيرق الأمل
تعاهدوا أن يحيوا من أجل غدٍ أفضل
تعاهدوا و البنادق في سواعدهم
غيريلا ، غيريلا
لنن كانوا حفنة
فان من يتابع طريقهم
اليوم و ليس غدا
يلقاهم آلاف مؤلفة
بعد قليل سيصبح العالم سلسلة جبال سييرا
و تناغم القارة ، قاطبة ، جيفارا
غيريلا ، غيريلا
ما في قلوبهم على شفاههم
كلمات و لا أحلى !
كلمات حمراء كالدماء
مائة مليون من ذوي السحنات الملونة
سيدركون ، في أي جهة العدالة
و الكرامة
تكون
غيريلا ، غيريلا
كلمات ملساء
تضاهي جيوشكم
و كل شرطتكم ، لا طائل تحتها ، كل شرطتكم
يدرك ، أخواتي ، أن الزهور تنمو على الدمال
و أن الأجراس الأجراس ، ها هي ذي
... تفرع الأجراس
غيريلا ... غيريلا



والشاعر بيتر ويس كتب قائل:

قضى عند حاجتنا إليه
قضى . . عند حاجتنا إليه
أكثر من أي وقت مضى
أكان عليلاً ؟ أما كان مُوثِقاً ؟
أكانت ، ربما ، أضحية ؟
و إذا كان مريضاً ، لماذا لم نسعفه ؟
كالمسيح أنزل عن الصليب كان
إنني أمقت أبطال الألم
إنني أمقت صوفية النشور
لقد هجرناه
حين كان علينا مساعدته بكل ما يجب
الأرض أرضه الصميمة التي أستقت بدمه ما كانت أرضه
حيثما تكونوا تكون بلادكم
و ها نحن ذا نجعله شهيداً
لنخفف عنا تبكيت الضمير
أمخطيء أنا ؟
أكان يا ترى قوياً و حياً و مليئاً بالثقة ؟
أكان هو الشجاع الوحيد ؟
أعلمنا موته جبننا ؟
تعلموا
تعلموا
تعلموا
وليستمر الكفاح



قصيدة "ماريا العجوز" لتشي جيفارا

قبل نحو عشرين عاما، كشف صديق لجيفارا هو الشاعر الكوبي نيكولاس غولين عن قصيدتين لتشي. اولاهما كتبها في الارجنتين عن عجوز معدمة تعاني من الربو والفقر المدقع وتنتظر الموت.

ماريا العجوز

ماريا العجوز، ستموتين،

احذتك بجدية.

كانت حياتك مسبحة من الصعاب

لا محبوب هناك، ولا صحة ولا

مال،

لا شئ سوى الجوع يشاركك الحياة.

اود الحديث عن آمالك

الامال الثلاثة المختلفة

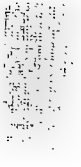
التي نسختها ابنتك دون ان تدري.

خذي هذي اليد الرجولية الطفلة

بين يديك المملختين بالاصفر

وامسحي رسغيك البارزين و"القشف" اليابس

في الخزي الناعم ليدي الطبيب



اسمعي ايتها الجدة البروليتارية
فلتؤمنني بالانسان الاتي
فلتؤمنني بالمستقبل الذي لن ترين

لا تصلي لرب قاسي
انكر عليك حياة الامل
ولا تطلبي الموت رحمة
لتشاهدي غز لانك الهجين تكبر
فالسما صماء والظلام
يلفك

علاوة على ذلك، سيكون لك النار الاحمر
اقسم على ذلك بحق
مبادني
سيعيش كل احفادك الفجر
الجديد

موتي بسلام ايتها المحاربة العجوز
ستموتين، ماريا العجوز
ثلاثون كفن اتية



ستقول وداعا وتلقي نظرة
يوم ترحلين

ستموتين ماريا العجوز
وتتباع حوائط الغرفة
عندما يتزوج الموت بازمة الربو
وبمتزجان محبة في حلقك

هذي الغزلان البرونزية الثلاثة
(الضوء الوحيد الذي ينير لياليك)
هؤلاء الاحفاد الثلاثة المسربلين
بالجوع
سيكون تشابك الاصابع العجوز
حيث وجدوا دائما الابتسامة
ويكون ذلك كل ما في الامر، ماريا العجوز

كانت حياتك مسحة من الصعاب الصغيرة
لا محبوب هناك ولا صحة ولا
سعادة

لاشي سوى الجوع يشاركك الحياة
كانت حياتك بانسة، ماريا العجوز



عندما تمحو ظلال الراحة الابدية
الالم من عينيك
عندمي تتلقى الايدي التي تأكلت من الغسيل
تربيّة اخيرة
فكري فيهم .. وابكي
ماريا العجوز، التعيسة.

لا تفعلها
لا تصلي لرب
انكر عليك حياة الامل
لا تطلبي الموت رحمة
كانت حياتك مسربة بالجوع
وها هي تنتهي مسربة بازمة الربو

نكني اود ان اهمس اليك
بصوت رجولي خفيض مفعم بالامل
عن النار الاشد احمرارا، واشد رجولية
اود ان اقسم على ذلك بحق
مبادئي



خذي هذي اليد الرجولية الطفلة
بين يديك الملتختين بالاصفر
وامسحي رسغيك البارزين و"القشف" اليابس
في الخزي الناعم ليدي الطبيب

ارقدي في سلام، ماريا العجوز
ارقدي في سلام، ابنتها المحاربة العجوز
سيعيش احفادك الفجر
الجديد
اقسم على ذلك.

ربما لا تبدو القصيدة شعرا عظيما، بمقاييس الشعر التقليدي او الحديث،
لكنها تكشف عن جانب من شخصية جيفارا قد لا يعرفه كثيرون.



من أروع ما قال تشي جيفارا

- الثورة قوية كالغولاذ حمراء كالجمر باقية كالسنديان عميقة كحبنا الوحشي للوطن
- كنت أتصور أن الحزن يمكن أن يكون صديقا لكنني لم أكن أتصور أن الحزن يمكن أن يكون وطننا نسكنه ونتكلم لغته ونحمل جنسيته
- انني احس على وجهي بألم كل صفة توجه الى كل مظلوم في هذه الدنيا فاینما وجد الظلم فذاك هو وطني
- أن الطريق مظلم وحالك فإذا لم نحترق انت وانا فمن سينير الطريق. ؟
- علمني وطني بان دماء الشهداء هي التي ترسم حدود الوطن
- لكل الناس وطن يعيشون فيه الا نحن قلنا وطن يعيش فينا
- أنا شاهد المذبحة وشهيد الخريطة انا وليد الكلمات البسيطة
- لا تحزني امي ان مت في غض الشباب غدا سأحرض اهل القبور واجعلها ثورة تحت التراب
- الدموع لا تسترد المفقودين ولا الضائعين ولا تجترح المعجزات !! كل دموع الارض لا تستطيع ان تحمل زورقا صغيرا يتسع لأبوين يبحثان عن طفلهما المفقود
- لا يهمني متى أو أين أموت، لكن همي الوحيد أن لا ينام البرجوازيين بكل ثقلهم فوق أجساد أطفال الفقراء والمعذبين، وأن لا يغفو العالم بكل ثقته على جماجم البائسين والكادحين
- أنا لا اوافق على ما تقول، ولكني سأقف حتى الموت مدافعا عن حقك في أن تقول ما تريد
- قد يكون من السهل نقل الانسان من وطنه ولكن من الصعب نقل وطنه منه



- يعشقون الورد لكن يعشقون الارض أكثر
 - مثل السذي باع بلاده وخان وطنه مثل الذي يسرق من بيت ابيه ليطعم اللصوص فلا أبوه يسامحه ولا اللص يكافئه
 - يقولون لي إذا رأيت عبدا نائما فلا توقظه لنلا يحلم بالحرية وأقول لهم إذا رأيت عبدا نائما ايقظته وحدثه عن الحرية
 - يقولون أن علينا ان نخلق ملف القضية الفلسطينية وان نحلها كما يريدون لنا ان نحلها وأقول لهم ان كنتم تعبتم ففارقون
 - حفاة على الجمر نسير وعلى الجمر تحترق امنياتنا سنين الشوك غرسوها في صدورنا فأنبئت جراحا رويناها بالذاكرة
 - لا بد احيانا من لزوم الصمت ليسمعنا الآخرين
- لست مهزوما ما دمت تقاوم

من كلمات جيفارا المؤثرة؛ ما جاء في خطابه "عن الطب الثوري"، حين قال:

"لقد زرت لحد ما، كل بلاد أمريكا اللاتينية، ما عدا هايتي وسانتو دومينجو. وكانت الظروف التي أحاطت بترحالي، في المرة الأولى كطالب، وفيما بعد كطبيب، سببا في تعرفي عن قرب بالفقر، والجوع، والمرض؛ بالعجز عن علاج طفل بسبب الحاجة إلى المال؛ بظلام العقول الذي يخلقه الحرمان المستمر والمعاملة القاسية، لتلك الدرجة التي يستطيع الأب فيها أن يقبل موت احد أبنائه كأمر عادي غير مهم، كما يحدث غالبا في الطبقات السفلى في أمريكا موطننا الأم. بدأت وقتها إدراك ان هناك اشياء كانت في الاهمية بالنسبة لي مساوية لان أصبح عالما مشهورا أو مساوية لتقديمي مساهمة كبيرة في العلوم الطبية: أدركت أنني ارغب في مساعدة هؤلاء الناس».



علامات استفهام ..

مات جيفارا الطبيب والشاعر، عازف الجيتار والثائر والمصور الفوتوغرافي، وصائد الفراشات.. وترك خلفه أسئلة عديدة، يرى الكثيرون أنها لن يجاب عنها بسهولة قريباً، فلم يحسم حتى الآن أمر الوشاية بـ"تشي"، فهل كان الرسام المتهم منذ أكثر من 30 سنة "بوستوس" الذي عاش منفياً في السويد، أم "دوبري" المفكر اليساري.. لا أحد يعرف. كما أنه لا أحد يعرف أين قبر "تشي" الحقيقي حتى وإن زعم البعض اكتشافه.. ولكن الحقيقة التي تظل ماثلة هي أن الجسد الذي لم ينهكه الربو اغتالته الديكتاتورية، ولكن بلا شك فشل الجميع في هزيمة روحه.



* مسافة واضحة بين جيفارا وكاسترو ..

أتساءل بدوري مثلما يتساءل آخرون. هل كانت كوبا ستكون أفضل حالاً لو تناوب على حكمها حكام عديدون عوض حاكم واحد من نصف قرن؟ هل كان سينتهي بها المطاف إلى ما هي عليه؟ أم إلى الأحسن؟

بكل تأكيد. كانت ستكون أفضل حالاً مما هي عليه لو خرجت من دوامة كاسترو. كانت ستخرج من الديكتاتورية والديماغوجية والخطب الطويلة التي لا تجدي وسب وشتم كل يوم أمريكا. في حين الشعب الكوري يهاجر سرا وعلناً إلى أمريكا ل يبحث عند بوش ما لم يجده عند كاسترو.



هذا ما ظل عليه كاسترو. أما رفيق دربه جيفارا. تخلص عن النضال الداخلي. وتوجه للنضال الخارجي قصد توسيع الثورة. لكن لم تسعفه أحلامه. وقع للأسف في ما وقع. وتكون نهايته.

صدقت مقولة الثائر الحقيقي آخر من يأكل آخر من ينام.... وأول من يموت

أما كاسترو غير مستبعد أن يكون هو من دبر قتل جيفارا, ومنذ أن وصل إلى الكرسي تشبث به, ليس هذا فقط بل ورثه أخوه قبل أن يتولاه ربه.

* لا يزال جيفارا البطل الوطني المحبوب للكثيرين في كوبا وما زالت صورته تزين معتقداته في موطنه الأصلي الأرجنتين وفي المدارس يتعهدون كل صباح قائلين "سنكون مثل تشي جيفارا"

* والي وقتنا هذا لا يزال جيفارا شخصية تاريخية عريقة تنال تبجيلا واحتراما هائلا, تعبر عن الثورة وقوة الشعب وعن رفض الظلم والاضطهاد, صنفته مجلة التايم الأمريكية من ضمن أكثر 100 شخص تأثيرا في القرن العشرين



دراسات وبحوث

الذاتي والموضوعي في تكوين إرنستو تشي جيفارا

(نقلا عن موقع دراسات الماركسية واليسار)

”تزامن التغيرات الشخصية مع تطور ظروف النشاط الثوري“

كارل ماركس في ”الأيديولوجية الألمانية“ (1846)

توطئة... وبعض الملاحظات بقلم مسعد عريبد

بالرغم من وفرة ما كتب عن إرنستو تشي جيفارا وفيه، قلة هي الكتابات التي تتناول المراحل والجوانب التكوينية في سيرته وفكره. لذا رأيت ان إستهل هذه الدراسة ببعض الملاحظات المنهجية اللافتة للنظر فيما كتب حول تشي جيفارا :

(1) أن الكثير من الكتابات، وخاصة الموسمية منها التي تتزامن مع ذكرى ولادته أو استشهاده ، تتراوح بين تخليد الثائر وتأييد إرثه من باب المديح والأيقنة. وهي كتابات، غالبا ما تداعب العواطف وتبتعد عن نهج الاستقصاء والبحث العلمي.

(2) يغرق العديد من هذه الكتابات في معالجة سردية لسيرة تشي ونضاله منذ لقائه بفيدل كاسترو (صيف 1955) والتحاقة بطلان الثورة الكوبية ونضاله الثوري والاممي ووقائع أسره وإستشهاده. وهذه الدراسات متوفرة بما لا يحصى من مراجع ورقية والإلكترونية وبكافة اللغات. أما الدراسات التي تتناول المراحل المبكرة من حياة تشي جيفارا وتأثيرات العوامل الذاتية والموضوعية في تكوينه فتظل قليلة.

(3) إذا توخينا خلق وعي وفهم موضوعيين لفكر وإرث جيفارا، فلا بد لنا



دراسات وبحوث

من أن ندرس هذا الثائر في سياقه التاريخي والتكويني حيث نتلمس العوامل التي أثرت في تكوينه الفكري والسياسي، وهو ما سأحاول معالجته في هذه الدراسة. وعليه، فسوف تقتصر رحلتنا في هذه الدراسة على سنوات النشأة والتكوين المبكرة وتتوقف عند لقائه بالثوار الكوبيين:

• نتلمس العناصر الرئيسية والظروف الذاتية والموضوعية التي شكلت أو أسهمت في تكوين تشى جيفارا الإنسان والثائر وصياغة فكره الثوري والسياسي ونستشرف ما آل إليه من خلال الكشف عن جدل الذاتي والموضوعي في نشأته.

• و نتناول عوامل التكوين الذاتي والتطور النفسي التي تحدو بطبيب أرجنتيني من الطبقة الوسطى أن يركل بحبوة العيش ليعلن ثورة لا هوادة فيها من مرتفعات سييرا مايسترا الكوبية الى أدغال الكونغو وبوليفي.





(1)

دور الفرد في التاريخ

يقتضي الفهم الموضوعي لجيفارا وإرثه الثوري ان نعالج، ولو بشكل عاجل، إشكالية دور الفرد في التاريخ وإسهامه في صناعة الحدث، لانه في غياب ذلك يتعذر فهمه في سياقه التاريخي.

نبدأ بالسؤال: هل يصنع الرجال التاريخ؟ وهل حقاً أن أفعالهم وأنشطتهم هي منبع التطور التاريخي؟ أم أن للتاريخ وللحدث التاريخي سياقه و"حياته" وحراكه وقوانينه العامة التي تسبق أفعال الافراد والعظماء وتؤسس لدورهم؟

تظل هذه الاشكالية، إشكالية دور الفرد "والعظماء" في التاريخ، حيلة بالاسئلة ومفتوحة للنقاش، إلا أنني سأبدي بعض الملاحظات المكثفة في محاولة لاستشراف الوحدة الديالكتيكية بين الذاتي الموضوعي:



دراسات وبحوث

(1) كان التاريخ، الى أن جاء الفهم المادي، سرّداً لاخبار الحكام والملوك. فهم الذين يصنعونه ومن ثم يكتبونه لنا بما يتوافق مع رؤيتهم ومصالحهم. فالفكر البرجوازي يلقننا ان الفرد (الملك، الحاكم، القائد، العسكري... الخ) هو الذي يقوم بالدور الاساسي والحاسم في صنع التاريخ ولم يرى السرد البرجوازي للتاريخ أن تطور الانسان والمجتمعات البشرية محكوم بقوانين ونظم، وأن دور الفرد يصبح ممكناً فقط في ظل ظروف وأوضاع إجتماعية (طبقية) معينة.

(2) أما الماركسة فجاءت لتكشف العلاقة الجدلية بين الفرد (الذاتي) والقوى الموضوعية التي تحكم حركة المجتمع والتاريخ. فالمادية التاريخية لا تنكر دور الفرد في التاريخ بل هي تموضعه وتقرأه في سياقه المادي والتاريخي، وترى ان الافراد وتأثيراتهم، كما يقول بليخانوف في كتابه "دور الفرد في التاريخ" (1898)، مهما عظم شأنهم وقدراتهم ومواهبهم لا يستطيعون وحدهم أن يحددوا مجرى التطورات التاريخية والتغيرات الاجتماعية التي تحتكم بالاساس الى قوى وظروف موضوعية.





فأسباب هذه التطورات والتغيرات تكمن، تحديداً، في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية وإصطفافاتها الطبقية المتناقضة والمتوترة. (من الامثلة على ذلك: دور لينين كقائد للثورة البلشفية (1917) ودور جمال عبد الناصر في ثورة يوليو 1952 والحركة القومية العربية في القرن العشرين ودور فيدل كاسترو في الثورة الكوبية وغيرها من الادوار التي جاءت بعد إختمار الشروط الموضوعية وإكتمال المقدمات المادية لعملية التغيير والثورة).

(3) تصبح شخصية الفرد وقدراته ومواهبه وكل ما يندرج تحت ذلك من صفات وسمات عاملاً في التطورات الاجتماعية فقط اذا ما سمحت العلاقات الاجتماعية (تناقضاتها وصراعاتها) لهذه العوامل أن تفرز تأثيراتها، واذا ما اتاحت هذه العلاقات المناخ ووفرت البيئة لفعالها. بعبارة اخرى، هناك "محدوديات" لدور الافراد في التاريخ والمجتمع، ومهما عظم شأن الفرد وقدرته، فانه لا يستطيع ان يفرض أو يقيم أو يغير علاقات اجتماعية وتاريخية اذا لم يتوافق هذا مع الاوضاع وميزان القوى القائم في المجتمع واتجاه حركته.

(4) يرى أنجلز أن المجتمعات محكومة بضرورات، هي في جوهرها اقتصادية، تقف خلف الحدث الذي قد يبدو أمراً عارضاً أو مجرد صدفة. وفي إطار هذه الضرورات، تتوجب معالجة دور الافراد والعظماء. فالقوى الانتاجية وتطورها هي السبب العام للتقدم التاريخي للانسان والمجتمع وهي التي تحدد التغيرات المتتالية في العلاقات الاجتماعية. إلا أن هذا لا ينفي أن الاحداث التاريخية قد تأخذ ملامح هذا الفرد او القائد، أو أنها قد تتطبع بخصائصه وسماته، كما أنه لا يغفل ان خصائص وشخصية وعقلية الافراد ذوي التأثير تترك بصماتها العميقة على الاحداث وقد تغير ملامحها وربما بعضاً من نتائجها، إلا ان هذه الخصائص لا تبدل الاتجاه العام للتغيير والاحداث والتاريخ.

(2)

العوامل الذاتية في نشأة إرنستو تشي جيفارا المنبت الطبقي

تعود اسرة جيفارا الى أصول ايرلندية (والده) وباسكية (والدته). ويرى بعض المحللين أنه بالرغم من 'أرستقراطية' عائلته إلا أنها أصبحت من الطبقة الوسطى في الأرجنتين بسبب العوز والخسائر المالية التي منبت بها. فبالرغم من أن جيفارا لم يعاني الفقر والجوع كغيره من أطفال أميركا اللاتينية، إلا أنه أيضاً لم يعاشر اقربائه ولم يتفاعل مع وسطه العائلي، ولم يكن أصدقاؤه من ميسوري الحال بل كان منفتحاً على كافة الفئات الاجتماعية وأكثر تقرباً من الفقراء والاشقياء منهم.

والدان غير تقليديان

تعاطف والدا تشي مع القضايا السياسية والاجتماعية التقدمية التي عصفت بالارجنتين والعالم في تلك الأونة وتضامنا بشكل خاص مع مناضلي الحرب الاهلية الاسبانية (1936 - 1939). فبعد هزيمة الجمهوريين في تلك الحرب وانتصار الديكتاتور فرانكو لاذ العديد من المناضلين الاسبانيين الى الارجنتين طالبين اللجوء السياسي. وقد ناصر والدا جيفارا هؤلاء اللاجئين وكان لهما الكثير من اللقاءات والاتصالات مع قادتهم السياسيين والعسكريين التي عايشها جيفارا خلال سنوات نشأته المبكرة وتأثر بها.

ترعرع جيفارا في بيت لا يأبه بالقيم التقليدية وبقي أميناً لنشأته هذه، فلم يكتثر بالطقوس والتقاليد البالية ولم يأبه بالهندام فكان يكره ربطات العنق والجاكيتات واللباس الانيق ويرفض المشاركة في الاحتفالات والمناسبات الاجتماعية، كما كان يحب المشي على الاقدام مسافات طويلة وقد عُرف بنزعه للفقر والعيش بدون نقود. ويمكننا القول بان حياة تشي ومسلكه قد خلا



دراسات وبحوث

من كافة المظاهر الرسمية المتحجرة كما تشهد على ذلك علاقاته مع الآخرين ومسلكه في الاجتماعات واللقاءات الرسمية والدبلوماسية حين مثل الحكومة الكوبية في منظمة الأمم المتحدة ومنظمة التضامن الأفرو-أسيوي ولقاءاته مع رؤساء الدول وغيرها من المنابر الدولية.

والدة تشي: علاقة متميزة

تحدثت الوالدة سيليا Celia من عائلة كاثوليكية وترعرعت في بيئة متدينة صارمة، إلا أنها إنقلبت على معتقداتها وتدينها وتخلت عنها حين أحبت والد تشي الذي كان يتعاطف مع الحزب الاشتراكي. وقد تمت خطبة والدي جيفارا رغم معارضة وإمتعاض اسرة والدته فكان أن تمرد العروسان على مراسيم الزواج التقليدية السائدة آنذاك.

كانت والدة تشي واسعة المعرفة، خصبية المطالعة، وكانت، بالإضافة الى لغتها الام - الاسبانية، تتقن الفرنسية وعلى إلمام جيد بالانكليزية. كانت طموحة ومثابرة وشديدة التصميم على الوصول الى غايتها، فما أن شرعت بعمل إلا وأنجزته مهما تكلفت في هذا من جهد أو تضحية ومهما بلغ الثمن. كانت جريئة ومقدامه لا تردعها مشقات الحياة ومخاطرها.





دراسات وبحوث

المرض: الربو

أصيب الطفل إرنستو جيفارا بالتهاب الرئتين بعد ولادته ببضعة أيام وما أن بلغ الربيع الثاني من عمره حتى أخذ يعاني من مرض الربو الذي صاحبه طيلة حياته بنوباته المتكررة والتي كثيراً ما أقعدته الفراش.

لازمت الام سيليا طفلها سنوات حياته الاولى حين كان يقعه المرض وكانت تقضي الساعات بجانبه حين كان يصارع نوبات الربو ويلتقط أنفاسه بكثير من العناء، كما كانت تعينه على القيام بواجباته المدرسية ومتابعة تعليمه. وهكذا توطدت العلاقة بين جيفارا وأمه وبقيت كذلك طيلة حياته حيث ثابر على مراسلتها باستمرار ومشاركتها همومه وإحاطتها علماً بأفكاره وطموحاته وأسفاره وتنقلاته.

كان مرض إرنستو سبباً في تنقلات عائلته المتعددة، حيث اضطرت العائلة للتنقل في أماكن سكنها بحثاً عن طقس أكثر ملائمة لصحته أملاً في التخفيف من وطأة نوبات الربو. كما كان للمرض وشدة نوباته المتكررة كبير الأثر على نمو الطفل إرنستو فكانت الكلمات الاولى التي نطق بها: "بابا، إبره"، مستغنياً بوالده أن يسعفه بحقنة الدواء كي يلتقط أنفاسه. وقد ولد المرض في تشي الصبر وشدة العزيمة وربما كان السبب في أفعاله التي كثيراً ما كانت تطمح الى تحقيق "الأمم الممكن الاقصى" إن جاز التعبير والتغلب على الصعوبات والعقبات التي تعترض سبيله، كما خلق





دراسات وبحوث

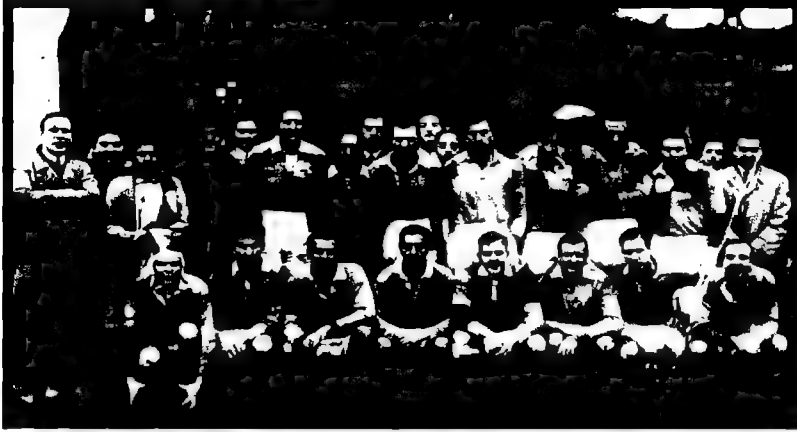
لديه القناعة بان الانسان قادر، إذا ما توفرت الارادة، على القيام بأي شيء. بالإضافة الى ذلك، تعلم إرنستو الصغير التكيف مع المرض فكان يمارس نشاطاته والعبه ورياضته رغم نوبات الربو القاسية حيث كانت تحدوه الرغبة في مشاركة أقرانه اللعب واللهو.

كان المرض يرغم جيفارا على إلتزام الفراش ساعات بل أياماً عديدة مما وفر له فترات طويلة من المطالعة التي صقلت شخصيته وأصبحت هوايته المفضلة وجزءاً من طبيعته وعادة لم تبرحه حتى في أحلك ظروف حياته.

حب الطبيعة

يعود شغف تشي بالطبيعة والادغال الى طفولته المبكرة حيث قضى تلك السنوات في شمال الأرجنتين. ولعل الفضل في حبه للطبيعة يعود الى والديه اللذان إختارا ان يقيما في شمال البلاد (إقليم Misiones) حيث الطبيعة الخلابة والغابات الكثيفة. ويبدو ان جده أيضاً كان مولعاً بالطبيعة والمغامرة وكان تشي الطفل يقضي ساعات طويلة يستمتع بشغف لوالده الذي كان يحدثه عن مغامرات جده بتفاصيل لم يفوت الطفل منها شيئاً وتركت في نفسه عميق الاثر.

ينحدر دارسو سيرة جيفارا الى تفسير حبه للطبيعة وللحواء الطلق وفسحة المكان الى إصابته بالربو وتعطشه الدائم للهواء والتنفس بحرية. وهذا صحيح. إلا أنه تجدر الإشارة أيضاً الى أن تنقلات اسرة جيفارا وإقامتها في أماكن متعددة تتميز بالطبيعة الخلابة والهواء الطلق كان لها كبير الأثر على نشوء هذه النزعة لديه. فقد بقي حتى لحظة وفاته يتطلع دوماً للعيش في الطبيعة المفتوحة والهواء الطلق رغم ما رافق ذلك من صراع متواصل مع نوبات الربو. وقد لازمت هاتان السماتان - التوق للطبيعة والصراع مع المرض - تشي في كافة منعطفات حياته وشكلتا عاملاً حاسماً في تكوينه النفسي.



شجاعة ... مغامرة ... أم عقلنة الخوف؟

أحب جيفارا تحدي الخطر وشَغَفَ بتسلق المرتفعات والجبال وتلذذ بعبور الجسور خصوصاً إذا جرت من تحتها الانهار. وقد تحلى بشجاعة نادرة، ولا غرابة ان منحه كاسترو، بعد فترة وجيزة من إنطلاقة الثورة الكوبية، لقب "كوماندانتي" *comandante* وهو أعلى مرتبة عسكرية في قوات الثورة آنذاك. وقد حفلت حياة جيفارا بالمواقف والاحداث التي تؤكد هذه الخصال.

إلا أنه على خلاف ما تصوره الدعاية المغرضة وبطوليات هوليوود السينمائية التي تلصق به صفات المغامرة والمجازفة، فان شجاعة تشي لم تدفعه للإقدام على الاخطار غير المحسوبة بل تحلت مسلكيته بالثورية والتأني والتعقل والشعور العميق بالمسؤولية حيال سلامته وسلامة رفاقه. إذ لم تكن الشجاعة لدى إرنستو جيفارا غاية بحد ذاتها، بل وسيلة نضال من أجل القضية والثورة. لذا، سعى بحرص شديد، ومن منظور الاعتبارات الاستراتيجية والسياسية، الى التحكم بالخطر بالمقدار الذي يستطيع أن يتعاطى معه. كان جيفارا يعقلن الخوف ليتغلب عليه ويتجاوزه كي يتغلب على المخاطر المحيطة به.

هكذا كان جيفارا جسوراً غير آبه بالمخاطر حين قرر العمل والاقامة في مستشفى البرص في أدغال البرازيل مع صديقه البرتو جرانادو Alberto



Granado الذي رافقه في رحلته الشهيرة عام 1953 والتي أصبحت موضوع الفيلم الشهير "يوميات الدراجة النارية". إلا أن جيفارا لم يمتطي هذه المشقات بدافع المجازفة والمغامرة بل التزاماً ووقفاً مع الفقراء والمرضى ورغبة في التعرف على أوضاعهم وظروفهم المعيشية. كذلك لم يكن تشي مغامراً حين قرر الانضمام الى قوات الثورة الكوبية، وحين صمد مع طلائعها طيلة سبع ايام عسيرة وسط أعاصير شديدة في ديسمبر 1956 على ظهر الياخت جرانما الذي نقل الثوار من الساحل المكسيكي الى شواطئ كوبا وصولاً الى جبال سييرا مايسترا Sierra Maestra في جنوب شرقي كوبا حيث كانت قوات الديكتاتور الكوبي باتيستا بانتظارهم في كمين أودى بحياة جلة المقاتلين ولم يبق منهم إلا على إثني عشر رجلاً من أصل واحد وثمانين.

إلا ان هذا لم يحل دون التحامل على جيفارا خلال حياته وبعد مقتله. فقد أحاط بسيرته ومواقفه الكثير من التزوير المغرض سواء خلال مرحلة الثورة في كوبا أو بعد مغادرتها لنصرة الشعوب الاخرى في العالم الثالث وسعياً وراء مشروعه في الثورة الاممية. ودون أن نخرج عن موضوعنا، تجدر الإشارة الى أن المقولات التي وصفت تشي جيفارا بالمغامر، وخاصة حملته في





دراسات وبحوث

أدغال بوليفيا التي أودت بحياته، تجافي الحقيقة وتغفل الظروف الموضوعية التي أدت الى عزلته في أدغال بوليفيا وإعاقة وصول الامدادات الموعودة ودور الحزب الحزب الشيوعي البوليفي وتعليمات القيادة السوفيتية وغيرها من ملابسات تلك المرحلة. كما أن هذه المقولات تنتكر حقيقة أن جيفارا، الذي كان قبل كل شيء، ثورياً ماركسياً وإستراتيجياً عسكرياً مؤمناً بقدرة الجماهير ودور ومسؤولية الفرد في صناعة الحدث، كان يدرك بعمق دور الظروف والتطورات الموضوعية وسياقها التاريخي والاجتماعي.

لم يكن جيفارا عابثاً يركض وراء وهم أو معركة دون كيشوتية، كما يدعي الاعلام الرأسمالي، بل كان صانعاً لمشروع ثورة تبدأ في كوبا وتمتد لتطال الانسانية بأسرها، كما كان قارئاً متفحصاً للتاريخ وحراك الشعوب وقوانين الصراع وديالكتيكية التناقضات الاجتماعية والطبقية. أما عندما يحين وقت المواجهة مع العدو فقد كان تشفى يدرك أن المقتل يكمن في الخوف والتردد فكان ينفض هذه الاوهام ويلقي بكل ثقله في المعركة.





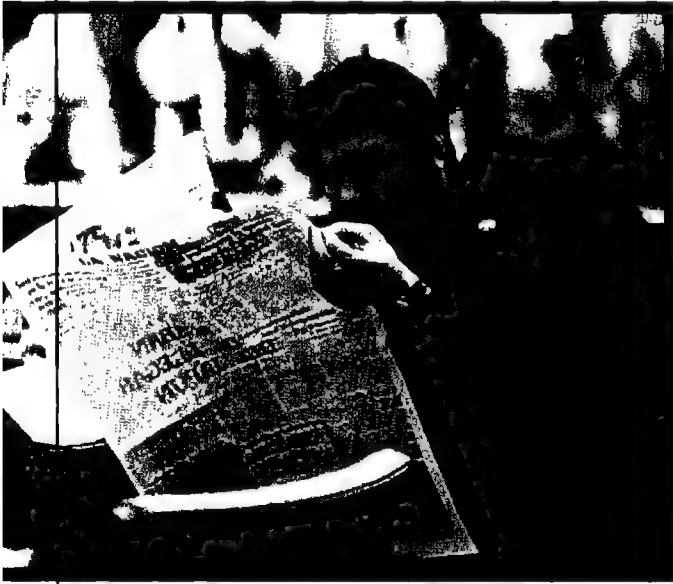
(3)

المؤثرات الفكرية والثقافية التثقيف الذاتي: مشروع حياة

نشأ تشي في بيت يحب المطالعة وإقتناء الكتب فحوى منها ما يقارب مكتبة صغيرة. وشرع، بمعونة والدته وتشجيعها، في رحلة مع الكتب منذ نعومة أظفاره، منذ أن كانت أمه، كما أسلفنا، تقضي ساعات طويلة تقرأ له وهو

على فراش المرض. هكذا دأب جيفارا على القراءة باستمرار ودون كلل وفي كل لحظة تتاح له، حيث كان الكتاب جليسه الدائم ورفيق دربه، فإذا ما أصابته نوبة الربو وحالت دون مشاركتة زملاءه في الألعاب الرياضية، نراه يتنحى إلى أطراف ملعب المدرسة وفي يديه كتاب يقرأه.

يذكر جيفارا في مذكراته، التي حرص دوماً على تدوينها، أنه كان يتوقف خلال



رحلاته في المكتبات العامة في البلدان التي يزورها حيث يقضي ساعات في القراءة. وتشير وقائع إستشهاده أن الجنود البوليفيين عثروا على كتاب "الثورة الدائمة" لليو تروتسكي في حقيبة تشي لحظة وقوعه في الأسر.

شغف تشي بالشعر والأدب وأولاهما إهتماماً كبيراً. أخذ يقرأ بابلو نيرودا



دراسات وبحوث

وهو في الثانية عشر من عمره وحفظ الكثير من قصائده عن ظهر قلب. كما قرأ لوركا وأنطونيو ماتشادا وغيرهما من شعراء أميركا اللاتينية وكان يردد قصائدهم على مسامع أصدقائه. ومن مشاهير كتاب أميركا اللاتينية طالع بنهم اوراسيو كيروغا Horacio Quiroga وخوزي أينخرينيروس Jose Ingrenieros ومن الكتاب العالميين قرأ أناطول فرانس.

في سن الخامسة عشر قرأ خوزي مارتي (ملم الثورة الكوبية ورمزها في القرن التاسع عشر) إضافة الى مهاتما غاندي وماركس وانجلز وجون شتاينبك و"عناقيد غضبه".

قال البرتو جرانادو، الصديق الحميم لتشى والذي رافقه في رحلة الدراجة النارية، في حديث مع صحيفة جرانما الكوبية عام 1967، إن تشى تعرف على مفاهيم فرويد في التحليل النفسي منذ سن الرابعة عشر، ويبدو انه قرأ بعض ادبيات التحليل النفسي (سيجموند فرويد وكارل يونغ والفرد أدلر) والتي كانت آنذاك في مهدها ولم يكن يلم بها الكثيرون من مثقفي أميركا اللاتينية.





دراسات وبحوث

وبالرغم من أن تشي لم ينضم إلى أي تنظيم سياسي طلابي طيلة فترة الدراسة الجامعية إلا أنه طالع في أربعينيات القرن الماضي ماركس وستالين وموسوليني وسارتر، كما حظيت الثورة الصينية باهتمامه. وفي سن التاسعة عشر، في مطلع إلحاقه بكلية الطب، عمد جيفارا إلى قراءة الأدبيات الماركسية ومناقشتها مع صديقه تيتا Tita والتي كانت عضواً في منظمة الشبيبة الشيوعية.

طالع جيفارا خلال إقامته في المكسيك (1955 و 1956)، وكان قد بلغ من العمر السابعة والعشرين، أعمال ثوار ذلك البلد مثل مذكرات بانتشو

فياللا Pancho Villal ودرس أدبيات الثورة المكسيكية (1910)، كما قرأ معركة ستالينغراد والحرب الكوبية والأدبيات الثورية المعاصرة لشعوب أميركا اللاتينية والعالم الثالث والكاربي.

في سن السادسة والعشرين أخذ يلتقط الأدب الروسي الكلاسيكي فقرأ تولستوي وجوركي وديستوفسكي وطلع أفكار الثوري الروسي بيترو كروبوتكين Pietro Kropotkin وأعمال لينين ("ما العمل؟" و"الامبريالية

أعلى مراحل الرأسمالية") وماركس (رأس المال) وماركس وإنجلز (البيان الشيوعي) وإنجلز (أصل العائلة، الملكية الخاصة والدولة، من الاشتراكية الطوباوية إلى الاشتراكية العلمية)، كما قرأ العديد من مآثر الأدب الصيني وأدبيات ثورته.



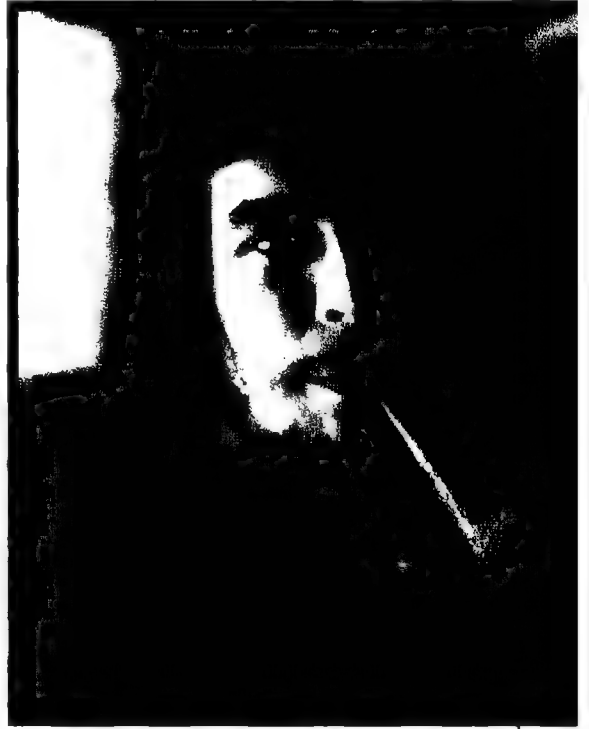


دراسات وبحوث

الفلسفة: مرشدة الفعل الواعي

يلحظ مؤرخو سيرة جيفارا على أن مطالعته، رغم تنوعها، لم تكن عشوائية بل كانت في كثير من الأحيان جزءاً من مشروع تنقيف ذاتي. إلا أن التنقيف الذاتي لم يتبلور برنامجاً ولم يتخذ ملامح واضحة، إلا عندما احتلت دراسة الفلسفة والتاريخ موقعاً مركزياً في إهتمامات جيفارا. قرأ "تاريخ أوروبا المعاصر" في 25 مجلداً وشرع، وهو في السابعة عشر من عمره، في تنظيم قراءاته في مجال الفلسفة، أحد فروع المعرفة التي كان يتوق إلى دراستها، فاخذ يدون ملاحظاته ويجمعها في "معجم فلسفي" تكاثرت صفحاته حتى بلغت سبعة عشر دفترًا ما زالت محفوظة في مركز دراسات تشي جيفارا في هافانا.

كان جيفارا يتعطش لدراسة الفلسفة، ولكن ليس في شكلها المجرد بل باعتبارها قوة قادرة على أن تحرك الممارسة العملية وتوجهها. بعبارة أخرى، أن ترشد أشكالاً من الفعل الواعي نحو غاياته وأهدافه وأن توجهه في مشروع تغيير العالم والتغلب على محدودياته. فالفلسفة (والمعرفة بشكل عام) عند جيفارا أداة لتحقيق مشروع حياته، مشروع الثورة، ووسيلة لتحقيق قيم العدالة والانسانية وإزاحة الظلم عن كاهل الفقراء والوصول إلى "الانسان الجديد"، وهي القيم التي ناضل من أجلها وتمثلت في الانجازات التي حققها والاحداث التي ساهم في صنعها.





ضمت "دفاتر" جيفارا الفلسفية بين دفتيها كافة فروع المعارف الفلسفية إلا أن أعمال ماركس وحياته تألفت مكاناً خاصاً فيها. وحيث أولى جيفارا اهتماماً خاصاً للمشاكل الاجتماعية وإنعكف على دراسة الماركسية في تلك السن المبكرة، فقد رسّخ هذا في وعيه فهماً للأسباب المادية والجذرية لتلك المشاكل، وهو النهج الذي رافقه طيلة حياته ورسم معالم فكره ونضاله. بالإضافة إلى دراسة الطب البشري، إنغمس تشي خلال سنوات دراسته في مطالعة الأدبيات الماركسية وأقام حولها الكثير من الجدل مع زملاءه ونشطاء منظمة الشبيبة الشيوعية في بيونس أيريس.

هذا عرض خاطف لاهم الاعمال الفكرية والادبية التي طالعها جيفارا وأسهمت في توجيه مساره الفكري وصياغة مفاهيمه حول الثورة المجتمع والتاريخ، إضافة إلى دراسه الطب وإهتمامه الخاص بامراض الحساسية. وتلك هي التربة الفكرية التي ترعرع فيها تشي الثائر والمثقف العضوي الذي سيكمل نضوجه وتطوره الفكري في سنوات الثورة اللاحقة بعد إنضمامه إلى صفوف الثوار الكوبيين وتوليهم مهام حزبية وحكومية رفيعة وحساسية في ذلك البلد.





جيفارا.. الطبيب والانسان

لم تحظى حياة تشى كطبيب بكثير من الاهتمام وربما يعود هذا الى أن جيفارا لم يلتفت الى ممارسة مهنة الطب بالطريقة التقليدية، بل أراد الجمع بين هذه ومشروع الثورة. ومن هنا نشهد إلحاحاً بالثوار الكوبيين بفترة قصيرة بعد تخرجه من كلية الطب. إلا أن هذا لا يقلل من أن غايته من دراسته للطب جاءت تعبيراً عن نزعة الانسانية ورغبته في مد يد العون للمرضى والمحتاجين. وفي محاولة للتناغم بين الطبيب والثائر، أولى تشى عناية خاصة لدور الطبيب في إعداد برنامج رعاية صحية في خدمة الشعب. يقول تشى في رسالة الى أسرته، بعد تخرجه طبيباً بفترة وجيزة، انه أخذ يعمل على تأليف كتاب بعنوان "وظيفة الطبيب في أميركا اللاتينية"، وانه قد إنتهى من إعداد الفصلين الاولين، ليتابع قائلاً "واعتقد انه بشيء من الصبر والمثابرة، فأنني أستطيع ان اقول شيئاً جيداً".

يضم الارشيف الشخصي لتشى غيفارا في هافانا مادة وفيرة كان تشى قد جمعها في إطار الاعداد لمشروع كتابه هذا وقد شملت أربعة عشر فصلاً تعالج مواضيع مختلفة تتراوح بين تاريخ الطب العام وتاريخ ودور الطب في أميركا اللاتينية والحلول المقترحة لنظام رعاية صحية تعكس رؤية تشى



لهذه المسألة:

- مهمة الطبيب في المواجهة المباشرة للنظام القائم والنضال من أجل إقامة نظام رعاية صحية في خدمة الشعب والدور الرئيسي المناط بالطبيب في هذا النظام.

- الحلول النهائية لمشكلة الرعاية الصحية و"النضال الثوري" المنوط بالطبيب من أجل خدمة الصحة العامة للشعب.

- مسؤولية الطبيب في فهم ودراسة الأوضاع الصحية في المنطقة التي يعمل فيها وإقامة علاقة طبية وثيقة مع السكان.

- رأى تشي أن علاقة الطبيب بالمريض لا بد أن تعزز تكوين الوعي الشعبي بأهمية الصحة والرعاية الصحية في حياة الشعوب.

يخلص تشي الى انه يتوجب على الطبيب، في سعيه لايجاد الحلول الناجعة، ان يكون قبل كل شيء، ثورياً يناضل ضد كل أعداء الشعب الذي هو "السيد الوحيد الذي يعمل الطبيب في خدمته".



(4)

المؤثرات السياسية المبكرة الحرب الاسبانية ومناهضة النازية

لاذ الكثيرون من مناضلي "الجمهورية الاسبانية" بعد هزيمتهم في الحرب الاهلية الاسبانية ضد الدكتاتور الفاشي فرانكو، لاذوا باللجوء الى الأرجنتين. وقد تأثر خيفارا بالعديد من قادة هؤلاء اللاجئين السياسيين الذين إلتقاهم من خلال إتصالات وجهود والديه في مناصرتهم وكان صديقاً لابنائهم. إلا أنه تأثره بشكل خاص بأتنين من هؤلاء القادة الاسبانيين: الدكتور خوان إغيلار Juan Aguilar الطبيب ورئيس شعبة الخدمات الصحية في البحرية الاسبانية، والجنرال خورادو General Jurado.

كان تشى يقضي ساعات طويلة، ولم يكن آنذاك قد تجاوز التاسعة من عمره، مستمعاً بشغف شديد لهذا الجنرال الذي كان يروي له قصص الحرب في





اسبانيا. كان الصغير تشى شديد الاعجاب بهذا الرجل ومنه تعلم دروس الشجاعة والفداء والذود عن الوطن، كما تأثر بتواضعه وعدم إكترائه بالابهية والألقاب. وربما تلقن منه فضيلة ولاء القائد العسكري للجنود والمقاتلين من المراتب العسكرية الدنيا وعدم التخلي عنهم في الاوقات العصيبة ولم تبرح هذه العبرة تشى عندما أصبح قائداً عسكرياً في الثورة الكوبية إذ لازمته طيلة حياته وظل أميناً لها في تعامله مع رفاقه وإيثارهم على ذاته حتى الرmq الأخير.

”الحزب الاول“ في حياة تشى

خشية من إنتشار الفاشية والنازية في ذلك الجزء من العالم، أسس والد تشى منظمة سياسية تدعى ”العمل الارجنطيني“ ضمت بين صفوفها أطيفاً سياسة وايدولوجية متباينة إلتقت على برنامج حد أدنى عماده مناهضة الفاشية والنازية والدفاع عن الحقوق القومية لشعوب أميركا اللاتينية. وقد انضم جيفارا الى هذه المنظمة وهو في الحادية عشر من عمره وبقي عضواً نشيطاً فيها حتى السابعة عشر مرافقاً والده في العديد من النشاطات والتجولات السياسية. تفانى تشى في خدمة هذه المنظمة وإستحوذ عليه شعور عميق بالمسؤولية تجاهها حيث صرف جل وقته وجهده في تنفيذ المهام التي كانت توكل اليه رغم نوبات الربو التي كانت تصيبه تكرر ا في تلك السنوات. ومع بلوغه السابعة عشر من عمره، أصبح تشى أكثر إستقلالية في فكره ونشاطه السياسي وأخذت نزعتة الى المواقف الراديكالية تتبلور بوضوح أكبر.

الزواج الاول: الحب والشيوعية

إلتقى تشى في رحلته الاخيرة وخلال إقامته في غواتيمالا (1953) بالصحفية الشيوعية البيروانية هيلدا غاديبيا Hilda Gadea والتي أصبحت زوجته (الاولى) وأنجبت طفلهما هيلديتا Hildita (هيلدا الصغيرة). كانت غاديبيا



شيوعية واسعة الاطلاع وتتمتع بشبكة كبيرة من العلاقات مع شيوعيي المكسيك وغيره من بلدان اميركا اللاتينية. وبعد فترة قصيرة من وصولها الى المكسيك مع زوجها تشى تم اعتقالها وطردها من ذلك البلد.

خلال إقامتهما في المكسيك، وفرت هيلدا لجيفارا العديد من الادبيات الماركسية وخاصة كتب ماو تسي تونغ وعرفته على اللاجئين الكوبيين في المكسيك حيث إلتقى الكوبي أنطونيو (نيكو) لوبس (Antonio (Nico Lopez والذي أطلق على جيفارا، للمرة الاولى، لقب "تشى". كما عرفته على راؤول كاسترو، والذي قدمه بعد أيام قليلة لاخية فيدل وما تلى ذلك من التحاقه بالثوار الكوبيين في المنفى المكسيكي.



(5)

العوامل الحاسمة في تكوين تشى جيفارا

من الناحية المنهجية، يمكن القول بان عوامل حاسمة ثلاث كان لها أكبر الأثر في تكوين تشى جيفارا وصياغة فكره السياسي والثوري، وهي، حسب ما ترى الباحثة ماري غارسيا :

(1) الفكر الماركسي.

(2) رحلات جيفارا.

(3) تجربة غواتيمالا.

(1) التعرف المبكر على الفكر الماركسي: تعرف تشى مبكراً على الفكر الماركسي الذي ساهم في توجيه أفكاره وصياغة مفاهيمه وربطها بالممارسة العملية في البحث عن حلول لمشاكل الانسان ومستقبله في أميركا اللاتينية. وبفضل تأثره بهذا الفكر، كان جيفارا شديد الحرص على التعريف الدقيق للمفاهيم السياسية والثورية في برامج التنقيف الذاتي التي وضعها لنفسه والتي شملت دراسة الفلسفة وعلوم السياسة والاجتماع. وقد شكل هذا التقارب المبكر مع الماركسية البنية النظرية والسياسية الصلبة التي أضحت الدعامة الرئيسية لفكر تشى وممارسته ونضاله. ويشهد فيدل كاسترو على هذا بقوله: “إلتقيت بتشى بعد خروجي من السجن والرحيل الى المكسيك. وكان ذلك في عام 1955 ... كان تشى قد درس الماركسية - اللينينية بنفسه وأصبح مقتنعا بها .. كان تشى، لحظة لقائنا، ثورياً ناضجاً يتمتع، إضافة الى ذلك، بمواهب عظيمة وذكاء خارق وقدرات نظرية واسعة”.

(2) رحلات تشى: البحث عن القضية... الثورة

تمثل رحلات تشى بعداً هاماً ودائم الحضور في مسيرته وفي فهمه الدقيق للواقع الاجتماعي في أميركا اللاتينية والتصاقه به. ولعلنا نجد في هذه الرحلات أولى التعبيرات عن التناغم بين النظرية والممارسة العملية الذي إتسم به تشى وكان واحداً من أعند نماذجه.

أحب تشى حياة التنقل منذ طفولته حيث إعتاد السفر مع والديه وقد زودته هذه الاسفار بالخبرات التي إستثمرها لاحقاً في رحلاته، كما هيات له التماس المباشر مع الطبيعة والتفاعل معها وهو ما كان يعشقه. ولا شك في أن جيفارا الشاب كان مدفوعاً في رحلاته المتميزة بحب التجوال والتعرف على بلده الأرجنتين وغيره من بلدان القارة اللاتينية، إلا أن القراءة الامينة لرحلاته الطويلة والمتكررة والمحفوفة بالمخاطر وشحة المال وما كانت تتطلبه من جهد كبير، تقودنا الى الاستنتاج بان تشى الشاب لم يكن يبحث، من وراء تلك الاسفار، عن مجرد "السياحة"، بل كان يسعى الى تلمس الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لشعوب تلك القارة ومعاينة معاناتهم جزاء الفقر والاستغلال وقمع الانظمة الديكتاتورية التي نصبته الامبريالية الاميركية في تلك البلدان.

الرحلة الاولى: كان تشى قد بلغ من العمر إثنين وعشرين عاماً وكان حينها طالباً في كلية الطب وجال خلال رحلته هذه بلده الأرجنتين. وقف تشى عبر هذه الرحلة وللمرة الاولى امام واقع الظلم والفقر وغياب أدنى أشكال العدالة الاجتماعية في بلده حيث شاهد التفاوت السحيق في مستوى المعيشة والظروف الاجتماعية والاقتصادية في المقاطعات الأرجنتينية المختلفة والتي كان يعيش بعضها "كدولة داخل دولة".

الرحلة الثانية: وقد شرع بها جيفارا بعامين بعد رحلته الاولى بصحبة صديقه ألبرتو غرانادو، وضمت، بالإضافة الى الأرجنتين، عدداً من دول أميركا اللاتينية. وقد أكدت هذه الرحلة لتشى بان الظروف الاجتماعية والاقتصادية لشعوب تلك القارة لم تكن تختلف عن أوضاع الجماهير الأرجنتينية إن لم



دراسات وبحوث

تكن أسوأ وأكثر تردياً كما أغنت معرفته وإمامه باجزاء عديدة من القارة اللاتينية. هكذا استطاع تشي أن يلمس بشكل شخصي ومباشر معاناة الجماهير وأن يعايش ظروفها القاسية.

الرحلة الثالثة والاختيرة: قام بها تشي وهو في الخامسة والعشرين من عمره، وهي الرحلة التي وسعت آفاقه وخبراته الشخصية والفكرية والنفسية وسارعت في إنضاج تطوره الثوري والسياسي والايديولوجي. كان لهذه الرحلة، الاختيرة قبل أن يلتحق بالثوار الكوبيين في تموز (يوليو) 1955، الفضل الكبير في صقل شخصية تشي وتكوينه الثوري.

جال تشي في هذه الرحلة بوليفيا والبيرو والاكوادور وبنما وكوستاريكا ونيكاراغوا وهندوراس والسلفادور وغواتيمالا حتى حط به الرحال في المكسيك. في كوستاريكا وغواتيمالا إلتقى العديد من الكوبيين الذين ساهموا في الهجوم على الثكنة العسكرية المونكادا (26 يوليو 1953) في المحاولة الثورية الاولى التي قادها كاسترو ضد الدكتاتور باتيستا.





السياق السياسي لرحلات جيفارا

في حين إتسمت الحقبة التي قضى فيها تشي سنوات طفولته ومراهقته بعلاقات الهيمنة الامبريالية التي شملت أميركا اللاتينية وما صاحبها من تقلبات وتوترات اجتماعية وسياسية عاصفة، فإن مرحلة شبابه واكبت مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية وما حملته من هزات سياسية واقتصادية واجتماعية. فقد سادت اميركا اللاتينية، والعالم بشكل عام، عملية "تعافي" اقتصادي تميزت بتغلغل راس المال الاجنبي وتشوه البنية التنموية في تلك البلدان والذي جاء نتيجة شحة راس المال المحلي مما أدى الى إحتجاز التنمية وتبعيتها للهيمنة الخارجية وإستنزاف اقتصادات تلك البلدان ومواردها.

وفي بلد جيفارا - الارجنتين، شهد عقد 1945 - 1955 نهوضاً اقتصاديا وإرتفاعاً في مستوى المعيشة حيث ارتفعت الاجور بنسبة 50%. وقد رافقت هذا النهوض تحولات نوعية وكمية في البنى الاقتصادية وتطور القطاع الصناعي على الزراعي مما أدى الى تغيرات في سياسات الحكومة الارجنتينية.

أما على المستوى الدولي، فقد اتسمت تلك المرحلة بعدة ملامح أهمها:

- إستقطاب الاوضاع السياسية في العالم بين المعسكرين، الاشتراكي والراسمالي.

- توحش الامبريالية الاميركية وصعود اليمين في الولايات المتحدة وإشتداد هستيريا الماكارتية والعداء للشيوعية.

- انتصار الاتحاد السوفييتي ودول اوربا الشرقية على النازية والفاشية وصعود بلدان المنظومة الاشتراكية.

- انتصار الفيتناميين في معركة دين بين فو (عام 1954 حيث هزم الثوار الشيوعيون الفيتناميون المحتل الفرنسي) واندلاع الحرب الكورية.

- نهوض حركات التحرر الوطنية في العالم الثالث وظهور انظمة وطنية وشعبوية سعت الى تلبية المطالب الشعبية، وتحدي بنية الهيمنة الامبريالية



والاجنبية القائمة في تلك البلدان (على سبيل المثال الحركة الثورية في غواتيمالا (1951 - 1954)، حكومة مصدق في ايران (1953)، ثورة يوليو في مصر (1952)، الثورة الجزائرية (1954 - 1962) وغيرها).

أسفار خيفارا: دلالات ومعاني

تكتسب الرحلات التي قام بها تشي في بلده الارجننتين وعبر القارة اللاتينية أهميتها من حيث أنها تعيننا على فهم تطوره الفكري والثوري، من ناحية، ومن الناحية الثانية فإنها تشير بوضوح الى عزمه المبكر للتعرف على تلك القارة واوضاع شعوبها، هذا العزم الذي كان بمثابة إمتداد طبيعي وعملي لرغبته في إكتساب المعرفة النظرية في الفلسفة والاجتماع والسياسة. ويمكننا القول بأنه منذ تلك اللحظة اصبحت النظرية والممارسة توأمين في مسار خيفارا ونضاله.

تدل رحلات تشي، في هذا السياق على أمرين أساسيين:

(1) العودة الى الطبيعة والتلاصق معها ومقاومة مرض الربو الذي كانت تشتد وطأته وتزداد نوباته سوءاً وتيرة بتغير الاحوال الجوية. وهكذا عمقت هذه الرحلات تجربة خيفارا مع الطبيعة وحبها ولوعه بالحياة خارج جدران البيوت.

(2) يسرت هذه الاسفار لتشي التعرف على أوضاع الشعوب والفقراء في القارة اللاتينية وهو ما ترك أثراً دائماً على تكوينه وتطوره الفكري والسياسي والنضالي وشكل لاحقاً مؤشراً واضحاً لمسيرته ونضاله.

صعق تشي لما شاهده في رحلاته من تناقض صارخ بين فقر الانسان، من جهة، وغناء الطبيعة ووفرة الموارد الطبيعية في بلاده وفي القارة اللاتينية من جهة اخرى. وقد ترك هذا التناقض في نفسه أثراً عميقاً لم يبرحه طيلة حياته. التفت تشي تلك التناقضات بحس مرهف فأضحت القوة الدافعة لأفعاله وساهمت في صياغة شخصيته المرفهة الحس وتعزيز التزامه الطبقي بالفقراء



حجاسات وبحث

وقضاياهم فنذر ذاته للنضال في سبيلها. وربما نستطيع أن نعقد المماثلة، من حيث السياق على الأقل، بين التأثيرات التي تركتها رحلات تشي على فكره السياسي ومسيرته الثورية، وتلك التي تأثر بها فريدريك إنجلز قبل ذلك بقرن من الزمن حينما شاهد الفقر المدقع الذي فتك بعموم الطبقة العاملة الانكليزية نتيجة الاستغلال الرأسمالي ودونها في كتابه "أوضاع الطبقة العاملة في إنجلترا" (1845).

أحب جيفارا السفر الذي أصبح حياته ومصيره، إلا أن أهم ما في أسفاره انها كانت وسيلته في تلمس درب الثورة وجغرافيتها وبهذا المعنى كانت رحلات جيفارا بحثاً في المعنى والجوهر وسعيًا وراء مشروع الانسان الجديد، مشروع تشي في الثورة.

أما على المستوى الشخصي، فقد وضعت رحلاته وخاصة الاخيرة منها، حداً "للأحلام" والمشاريع الشخصية في النجاح المهني والشخصي، ليستبدلها بالالتحام بقضايا الفقراء والمعدمين. وهكذا، انتقل تشي من الطبيب الذي يكتفي بمعالجة المرض، الى الثوري الذي يناضل من أجل اجتثاث جذوره بما فيها من استغلال وظلم وفقر وأمية. وهنا يسهل ان نلاحظ انه بقدر ما انصرف تشي بعيداً عن "المشروع الشخصي" بقدر ما أخذ يقترب من مشروع الثورة وأخذ يصيغ رؤية ونهجاً ثوريين مختلفين: فلا خلاص من الآفات الاجتماعية بحلول وسطية وتوفيقية، بل ان محوها لا يتأتى إلا بثورة شاملة تدمر النظام القائم وتجتثه من جذوره لتقيم مكانه نظاماً جديداً.

يمكننا ان نوجز اهمية أسفار جيفارا ودلالاتها في النقاط التالية:

- (1) كانت هذه الاسفار امتداداً طبيعياً وتلقائياً لرغبة جيفارا في المزيد من المعرفة النظرية التي كان يطلبها بلا كلل وبشكل مبرمج.
- (2) كما كانت امتداداً عملياً لممارسة وتطبيق هذه المعرفة.
- (3) ساهمت هذه الرحلات في صياغة الفكر السياسي والثوري لجيفارا وفي بحثه عن الحلول السياسية والاخلاقية لمشاكل المجتمع حيث يتجلى تأثيرها



في المواقف والعناوين الرئيسية لنضال جيفارا وإرثه. وفي هذا الارث وما تضمنه من شعارات وأهداف يتسنى لنا ان نفهم وأن نفسر ديمومة تشي فينا (معاداة الامبريالية دون مهادنة، العنف الثوري والكفاح المسلح كوسيلة رئيسية للنضال، الاشتراكية، الاخلاقية الشيوعية، الانسان الجديد والمجتمع الجديد، أممية النضال، ماركسية العالم الثالث، سمات النضال في العالم الثالث وأميركا اللاتينية ووحدة شعوبها).

(3) غواتيمالا: التجربة ... والمنطف

وصل تشي الى غواتيمالا بين الثالث والعشرين والرابع والعشرين من ديسمبر عام 1953 وعاش التجربة الديمقراطية وإنجازاتها في ذلك البلد والتي شملت الاصلاح الزراعي وتأميم الشركات الاجنبية الكبرى مثل United Fruit Company. وكان جيفارا آنذاك متواجداً مع مجموعة كبيرة من المغتربين من شتى دول اميركا اللاتينية.

إنضم جيفارا الى منظمة الشبيبة الشيوعية في غواتيمالا وإنخرط تشي في حركة المقاومة التي ساندت آنذاك الحركة الديمقراطية (1951 - 1954) التي تزعمها يعقوب اربينز Jacobo Arbenz والتي أطاح بها انقلاب سبتمبر 1954 بدعم وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية. وبحكم كونه مواطناً أجنبياً، اضطرت تشي، في خضم الاحداث العارمة وحملة الاعتقالات التي تلت الاطاحة بتلك الحكومة، الى اللجوء الى السفارة الأرجنتينية في غواتيمالا حيث مكث الى ان تمكن من مغادرة البلاد متابعاً مسيرته الى المكسيك (سبتمبر 1954).

شكل عام 1954 منعطفاً كبيراً في تاريخ غواتيمالا وفي حياة جيفارا. فقد كتب في إحدى رسائله الى أسرته واصفاً الاوضاع التي عاينها في غواتيمالا انه "لا يوجد بلد ديمقراطي مثل هذا البلد". وقد مثلت تجربته هذه (ما بين 1953 و1954) نقلة نوعية من البحث عن قضية نضاله الى اكتشافه مشروع حياته. فبعد ان تقارب تشي مع واقع الجماهير في القارة



اللاتينية، جاءت التجربة الغواتيمالية لتكون الحالة الثورية الاصلية الاولى التي شكلت صعوداً ثقافياً وسياسياً وأيديولوجياً في حياته، كما شكلت امتداداً واستمرارية لدراسته للفلسفة، ولكن هذه المرة بانحياز واضح نحو الماركسية. إضافة الى أنها منحتة فرصة التعرف على العديد من سياسيي ومتقفي تلك الحقبة.

فما هي تأثيرات التجربة الغواتيمالية على جيفارا وما هي العبر التي استخلصها منها؟

1) الاكتمال الثوري: يذهب العديد من المحللين الى أن المرحلة الغواتيمالية في حياة جيفارا دشنت الفصل الاخير في تكوينه الماركسي، كما يرون ان السخط الذي أثارته في نفسه معاملة "اليانكي" في الولايات المتحدة (الاميركي الشمالي) لشعوب أميركا الوسطى والجنوبية قد دفع جيفارا الى التعمق أكثر في دراسة الامبريالية والرأسمالية والاقتصاد السياسي لكارل ماركس.

كان تشي، قبل تجربته في غواتيمالا، ثوريا في طور التكوين، أما في غواتيمالا، فقد اكتمل نموه كثوري أميركي لاتيني، حسب ما ورد في رسالة كتبها من كوستاريكا (10 ديسمبر 1953). فهي تجربة امتزجت فيها خبرات تشي الشاب التي جناها من رحلاته وإيمانه بضرورة تعميق تنقيفه الذاتي (وهو المشروع الذي صقل نزعة جيفارا نحو القومية الاميركية اللاتينية ووحدة شعوب تلك القارة) من جهة، وتأصيل عدائه للإمبريالية من جهة اخرى. يقول جيفارا في هذه التجربة أنها صقلت شخصيته كثائر أميركي لاتيني وعالم ثالثي وان هناك امراً واحداً لا يرقى اليه الشك، وهو ان اميركا [اللاتينية] ستكون مسرح نشاطه "... وفي الحقيقة أعتقد أنني توصلت الى فهم والى الشعور بانني أميركي [يقصد اميركي لاتيني] ذو طبيعة متمزة ...".

وفي فضائها الأرحب، تتجلى مؤثرات التجربة الغواتيمالية على تشي في البعد الاكثر أهمية وحسماً في مساره الثوري، وهو العثور على ضالته



والمبادرة بمشروع الثورة، إذ كان قد أكمل حينئذٍ نضوجه كثائر ووصل الى محطة في تطوره ونموه اتسمت:

- بإنسانية ثورية مرهفة وعميقة.

- بالالتزام بالفكر الثوري والسياسي الذي جاء حصيلة التثقيف الذاتي الدؤوب والذي أضحي جزءاً لا يتجزأ من نشأته وتطوره.

- باعتناقه الفكر الماركسي، كما شهد على ذلك كاسترو لحظة لقائهما في المكسيك صيف 1955.

- بالخبرات والتجارب التي حصدها من رحلاته ومعابنته لوضع شعوب أميركا اللاتينية.

- وأخيراً بالالتزام بالنضال من أجل تحرير شعوب هذه القارة وتحقيق وحدتها.

(2) العدو الامبريالي: دور الولايات المتحدة كقوة امبريالية داعمة للانظمة الرجعية والديكتاتورية في أميركا اللاتينية؛ وحتمية الصدام بين محاولات التغيير في تلك القارة مع هذا العدو. وقد زرعت التجربة الغواتيمالية في تشي جيفارا عداً للإمبريالية والرأسمالية والتزاماً بالشيوعية لازماه طيلة حياته حيث كتب تشي الى والدته، في تقييمه للأحداث التي ألمت بذلك البلد والضربة العسكرية التي أطاحت بالحكومة الثورية، عن دور الشيوعيين الغواتيماليين الذين "صانوا العقيدة" حسب وصفه وانهم الوحيدون الذين واصلوا النضال، وتابع قائلاً في رسالته "...أعتقد انهم جديرون بالاحترام وانني، عاجلاً أم آجلاً، سألتحق بالحزب".

(3) هزيمة وفشل الاوليغاركية العميلة: عاين تشي بوضوح، من خلال التجربة الغواتيمالية، الحصار الدائم والفشل المتكرر للاوليغاركية المحلية الرجعية وردة الفعل الامبريالية حيال برنامج حكومة الرئيس يعقوب اربينز الذي كان يهدف الى النهوض ببلد واقتصاد تابع وشبه كولونيالي الى بلد ذي سيادة وطنية واستقلال اقتصادي يوفر لشعبه حياة أفضل.



دراسات وبحوث

(4) الكفاح المسلح: كانت غواتيمالا بالنسبة لتشي "مدرسة ثورية". وبالرغم من أن هزيمة تلك المحاولة على أيدي وكالة المخابرات الاميركية قد أدت به الى الاحباط، إلا أنها علمته دروساً بالغة في السياسة والتاريخ إذ أكدت له بالدليل الملموس إن الاصلاح السياسي والبرلماني غير مجدٍ في إنجاز التغيير وعمقت لديه وعياً ثورياً بضرورة الكفاح المسلح المنظم كوسيلة للنضال وبأن العنف الثوري هو السبيل الوحيد لاجداث التغيير الاجتماعي والسياسي وتحقيق الاشتراكية. وبهذا المعنى، كانت تجربة غواتيمالا لحظة تبلور الفكر الثوري عند تشي جيفارا. فقد طرح الكفاح المسلح بوضوح بلوري وأمن به بدون مساحيق ودون اللجوء الى معجم من التبريرات والتنظيرات الملتوية والمغرضة ودون خلط مفاهيم العنف الثوري بـ "الإرهاب" التي تغزو خطابنا وثقافتنا في هذه الايام.





(6)

الموضوعي في تكوين تشي جيفارا

العالم الذي عاش فيه تشي جيفارا

غادر جيفارا سنوات المراهقة والدراسة الثانوية (1947) مع ولوج القرن العشرين الى نصفه الثاني. وكانت حربان عالميتان إمبرياليتان قد حصدتا ارواح الملايين من البشر، ودمرت عالماً ليقيم مكانه عالم آخر تجلت معالمه في:

- إنتصار الثورة الاشتراكية الاولى في التاريخ البشري في الاتحاد السوفيتي (1917) قبل أن تضع الحرب الاولى أوزارها والانتصار السوفييتي على النازية خلال الحرب الثانية.

- قيام ثورات أوروبا الشرقية التي هزمت النازية والفاشية وأقامت المنظومة الاشتراكية.

- إنتصار الثورة الاشتراكية في الصين (1949).

- صعود الولايات المتحدة الى زعامة العالم الرأسمالي، الذي يحلو للغرب أن يسميه "العالم الحر"، بعد احتضار القوى الكولونيالية الهرمة.

- وقوع العالم في استقطاب حاد بين فكي "حرب باردة" بين معسكري الرأسمالية والاشتراكية واحتدام الصراع بينهما والذي وجد تجسيده العسكري، إضافة الى تجلياته العقائدية والسياسية، في نشوء حلفين عسكريين: الاطلسي (1949) ووارسو (1955).

كما شهد العالم، مع بزوغ النصف الثاني من القرن العشرين، العديد من المحطات الساخنة التي مثلت تصادم هذين المعسكرين وجسدت المواجهة بين مشروع الانسانية في الحرية والتنمية والاشتراكية مع مشروع الرأسمالية



في نهب الشعوب وباستغلالها. وفي عرض سريع لهذه المحطات، نكتفي بذكر بعضها:

- قيام الكيان الصهيوني الاستيطاني على أرض فلسطين عام 1948 كتجسيد مادي للمشروع الامبريالي - الصهيوني في الوطن العربي وكقاعدة متقدمة للإمبريالية الاميركية في تلك المنطقة.

- اندلاع الحرب الكورية (1950 - 1953) وتقسيم ذلك البلد الى جزئيه الشمالي والجنوبي.

- إطاحة وكالة المخابرات الاميركية بالحكومة والحركة الديمقراطية في غواتيمالا (1954).

- تصاعد الماركسية في الولايات المتحدة واشتداد حملة محاربة الشيوعية.

- انطلاق العالم الثالث في ثورات شعبية ونهوض حركات التحرر في العديد من بلدانه (ثورة يوليو في مصر وثورة الجزائر والثورة الكوبية وغيرها في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية).

- انعقاد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي (فبراير 1956) حيث أعلن خروتشيف إدانة جرائم ستالين و"محو الستالينية"، وانتهاج سياسة التعايش السلمي مع الرأسمالية.

- التدخل العسكري السوفييتي في هنجاريا عام 1956.

الاضاع في مسقط الرأس - الارجننتين

اتسمت الاوضاع في الارجننتين عام ولادة تشي (1928) بازمة إقتصادية حادة ازدادت سوءاً عام 1929 وصاحبها إنهيار إقتصادات العديد من البلدان الرأسمالية. وبالنسبة لبلدان أميركا اللاتينية، فقد تميزت هذه المرحلة:

(1) من منظور التدخلات الخارجية، بالتوسع الامبريالي للولايات المتحدة داخل تلك القارة ووقوع بلدانها تحت نير الهيمنة الامبريالية الاميركية، ولم



تكن الارجنتين إستثناء.

(2) أما على المستوى الداخلي، فقد أمسكت قلة برجوازية عميلة ومستبدة بمقادير الحكم ومقدرات شعوبها.

(3) في مقابل هذه الهجمة، أخذت الاحزاب الشيوعية بالظهور في تلك البلدان عقب الثورة البولشيفية (1917) وخلال مرحلة الكفاح ضد الفاشية والنازية في ثلاثينات القرن الماضي والحرب الامبريالية الثانية التي انتهت بدحر الاحتلال النازي ووصول الاحزاب الشيوعية، التي قادت ذلك الكفاح التحريري، الى السلطة في اوروبا الشرقية وإقامة المنظومة الاشتراكية.

وصل خوان بيرون Juan Peron الى الحكم (1946) بعد أن عاشت الارجنتين عقداً طويلاً من الفساد والتدهور في كافة المجالات الاجتماعية والاقتصادية. وقد جاءت حقبة حكمه واعدة باستنهاض الطبقة العاملة الارجنتينية وتنظيم الحركة العمالية وتصاعد النضال الشعبي من أجل الحرية والديمقراطية.

شارك بيرون في الحكومة الارجنتينية بمنصب وزير للدفاع عام 1943، إلا أن دوره تعاضم مع وصوله الى مواقع النفوذ في الحكومة وإنتخابه رئيساً في فبراير 1946. وقد استمر في الحكم الى عام 1955 حيث شاركته النضال زوجته المعروفة بـ "إفيتا" Evita (والتي إتصق أسمها بالنضال الجماهيري في الارجنتين الى أن وافتها المنية من داء السرطان عام 1952). فاز بيرون ثانية بالانتخابات عام 1952 وبقي في الحكم الى أن أطاح به إنقلاب عسكري عام 1955 ففضى ما تبقى من عمره منفياً في إسبانيا.

في ظل هذه الظروف، قضى تشي سنوات شبابه في الارجنتين البيرونية وفي سياق سياساتها. إلا أنه يبدو ان هذا الامر لم يترك أثراً كبيراً على جيفارا مع ان وصول الحركة البيرونية الى السلطة أحدث غلياناً اجتماعياً في ذلك البلد وأنذر بدخول الحركة العمالية والجماهيرية مسرح العملية السياسية. فقد شكّلت سياسة بيرون تهديداً لمصالح الطبقة التي كانت تنتمي اليها اسرة تشي، ولعل هذا ما يفسر عدم انخراط اسرته في عملية التغيير



دراسات وبحوث

الاجتماعي التي سادت المجتمع الارجنتيني آنذاك رغم تعاطف والديه مع الافكار التقدمية واليسارية. وليس هناك ما يشير الى أن تشي الشاب قد إنجاز لأي من هذه التيارات أو إنتمى الى إطار حزبي معين. إلا أن هذه العوامل شكلت جزءاً من حياة اسرة جيفارا والظروف التي عاشت في ظلها وتركت بصماتها على حياته.





جيل جيفارا

تميز العالم الجديد الذي قام على إنقاض الحرب الامبريالية الثانية (1939 - 1945) بفضل نضال الجماهير وقيادة الاحزاب الشيوعية لحروب التحرير الشعبية ضد الاحتلال النازي وتحقيق التجربة الاشتراكية في تلك المجتمعات، تميز بتألق الفكر الاشتراكي وإزدهار ثقافة جديدة وظهور أنماط متميزة وملتزمة من الفن والادب والمسرح وغيرها من الأنشطة الثقافية والفكرية والعلمية وبرزوغ فهم جديد للدور السياسي والاجتماعي للثقافة والمثقف: دور ملتزم بأهداف التغيير الاجتماعي وتحرير الانسان من أغلال الاستغلال الرأسمالي وإنعاقه نحو الحرية والتحرر والتقدم. وهو ما عمد الاعلام الرأسمالي دوماً، في خضم حربه مع الاشتراكية، الى طمسه وتشويهه وخاصة في العقدين الاخيرين.

أما على مستوى أميركا اللاتينية، فقد شهد هذا الجيل هزائم وإخفاقات الحكومات الاصلاحية المتتالية في تلك البلدان. وعليه، جاء هذا الجيل نتاجاً لهذه التوترات والارهاصات السياسية والاجتماعية حيث ساهم عاملان أساسيان في صياغة وعيه ودوره:

(1) الهيمنة الرأسمالية الاميركية على جوانب الحياة في اميركا اللاتينية (السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية).

(2) الهزائم التاريخية للمحاولات والحكومات الاصلاحية وسياساتها واستراتيجيتها في التصدي للسياسات الامبريالية الاميركية. وكان من نتيجة هذا الفشل ان أخذ الكثير من أحزاب "اليسار الديمقراطي" في التأقلم مع الاوضاع الجديدة و"تقبل" الهيمنة الاميركية كأمر واقع ومقبول على غرار ما حدث في بلادنا بعد الانهيار السوفيتي وإنفراد الولايات المتحدة بقطبية العالم حين أخذ اليسار الفلسطيني والعربي في أعقاب ذلك الانهيار يتجه نحو "الديمقراطية" وخطاب العولمة الرأسمالية وسياساتها النيوليبرالية وإستدخال نهج التسوية مع المحتل الصهيوني.

هذا هو الجيل الذي إنتهى اليه تشي جيفارا، جيل خمسينات القرن العشرين



دراسات وبحوث

في بلدان العالم الثالث وأميركا اللاتينية بشكل خاص، وهو جيل أخذ على عاتقه إعادة تقييم الأوضاع وتحديد مهام المرحلة ووسائل النضال وتشكيل الاطر التنظيمية القادرة على الاضطلاع بهذه المهام. ولعل في تصنيف جيمس بتراس، المفكر الاميركي اليساري، لهذه الحركات والتحولات الثورية ما يوضح السياق والدور الذي اضطلع به جيل تشي جيفارا وما تمخض عن نضاله في العقود اللاحقة. فقد قسّم بتراس النضال الثوري في التاريخ المعاصر لاميركا اللاتينية الى موجات أربع :

(1) الموجة الاولى (1959 - 1967): من إنتصار الثورة الكوبية حتى إستشهاد تشي جيفارا.

(2) الموجة الثانية (1968 - 1976): الانتفاضات الجماهيرية في الجنوب والانقلابات العسكرية.

(3) الموجة الثالثة (1977-1990): صعود الحركات الثورية في أميركا الوسطى (السلفادور والثورة السندناستية في نيكارغوا وصولاً الى "إتفاقية السلام").

(4) الموجة الرابعة: الحركات الثورية الاجتماعية والسياسية الجديدة التي تمثل بنضال الهنود الاصلايين والفلاحين في أرياف اميركا اللاتينية (مثل الانتفاضة الساباتية في مطلع عام 1994) والتي تمتد حتي يومنا هذا.





خاتمة

أُلقيت في هذه الدراسة بعض الضوء على العوامل الذاتية والموضوعية التي أثرت في تكوين تشي جيفارا الثائر ولعبت دوراً هاماً في تحديد الهموم النظرية والمهام السياسية التي اضطلع بها. كما شكلت هذه العوامل جزءاً من شخصيته التي تشابك فيها النهج والفكر مع الواقع الاجتماعي. وقد حرصت على الإشارة إلى التراكم النظري - العملي لدى جيفارا والذي يستند إلى تجارب وممارسة عملية نهلت من كم معرفي وثقيف ذاتي ثريين. وكان يهمني أن أستشرف من خلال هذه الجدلية العوامل التي تكافلت في صقل رؤية تشي للواقع ومعضلاته وتقديمه للحلول بنهج علمي يجمع بين تصورات أمينة ومقترحات محددة تستدعي بالضرورة إحداث تغييرات جذرية في المجتمع. وسوف نلمح هذا التزاوج والتناغم بين الفكر والممارسة طيلة المستقبل الثوري لتشي جيفارا.





دراسات وبحوث

يكن الدور الحاسم للثائر أو القائد في التقاط السمة الرئيسية للعصر، وهو ما تميز به جيفارا. وما زالت هذه السمة قائمة لم تتغير منذ إستشهاده، وإن تبدل بعض ملامحها، وتتلخص في أن الظروف الموضوعية لمناهضة الرأسمالية والنضال من أجل دحرها ما فتأت تتضج وتكتمل منذ سنوات طويلة. فقد كان تشي بحق نتاج عصره وتناقضاته الاجتماعية والطبقية (والتي ما زالت مستعرة) التي كانت تتطلب مشروعاً مناهضاً: مشروعاً في المقاومة والثورة، يعادي الرأسمالية والامبريالية ويصطف مع الانسان وخياره الاشتراكي. وإذا كانت عظمة الرجال تقاس بالقضية (أو القضايا) التي يهبونها حياتهم ونضالاتهم، فإن القضية التي كرس تشي حياته ونضاله من أجلها ما زالت حية نابضة في عروق الملايين من شعوب الارض وفي أزقة الفقراء والمعدمين، وما فتأت أزماتها متمثلة بكافة أشكال الاستغلال والظلم. فطالما ظلت الشعوب مظلومة، فسيظل جيفارا حاضراً في ديمومة ثورتها ومقاومتها، وطالما بقي هناك "معدبون في الارض" فستظل قدوة تشي جذوة تشحذ همة الجماهير وكفاحها، وكلما أمعن رأس المال في جشعه وحروبه (بشتى انواعها العسكرية والاقتصادية والثقافية) على الفقراء والشعوب، كلما علت صرخة جيفارا في إشعال الثورة والمقاومة في "فيتنام واحدة وثانية وثالثة".

لقد كان جيفارا مناضلاً غير إعتيادي جمع صفات نادرة ومعقدة، إلا أنه أيضاً مثل حقبة معقدة فجاء فكره ونضاله وممارساته غير إعتيادية توحد فيها الخاص والعام، وامتزج فيها الوطني بالقومي والطبقي بالأممي. إلا أن جيفارا لم يصبح ثائراً عظيماً لأن صفاته الشخصية كانت غير إعتيادية أو لانه أضفى ملامحه الشخصية على الاحداث التاريخية الكبيرة فحسب، بل لانه كان، وبصفاته تلك، المناضل الملتزم بمصالح الجماهير والطبقات الشعبية التي تمثل أغلبية المجتمع، ولانه إتسم بالقدرة على تلمس وإنجاز إحتياجات الجماهير والمجتمع في زمنه، تلك الإحتياجات التي يفرزها تطور العلاقات الاجتماعية والانتاجية وتحدها الاسباب العامة والخاصة في المجتمع. أي أن جيفارا "رأى" أبعد مما رأى الآخرون، وناضل من أجل



التغيير وصمم على إحرازه، كما انه، وربما هذا هو الالهم، إلترزم بمصالح الجماهير والايفاء باحتياجاتها . هكذا يصبح الافراد أبطالاً، وهنا تكمن أهمية العظماء ومصدر قوتهم: فهم قادرون على تغيير المسار "الطبيعي" للامور ولان أفعالهم وأنشطتهم هي التعبير الواعي والحر عن المسار المحتوم.

نخلص، في الختام، الى أن المهمة في دراسة جيفارا تكمن في قراءة متجددة لفكره ونضاله ضمن سياقه التاريخي حيث تتفاعل جدلية الذاتي والموضوعي، قراءة تسترشد الواقع المستجد للشعوب وواقع طبقاتها الشعبية ومصالحها ونضالاتها، وهي قراءة كفيلة بان تُخرج جيفارا، وتُخرج فكره وإرثه، من فخ "الموضا" والايقونية. وهي أيضاً، القراءة القادرة على التأسيس لوعي نقدي يقوم على ضرورة التغيير وحتميته وينتقل بإنسجام الى الافعال المفعمة بالحيوية والممارسة العملية المتدفقة بالطاقة والزخم. هذا الوعي بضرورة التغيير، أي بعدم القدرة على تجنب حدثٍ ما أو ظاهرة معينة، هو الذي يزيد من قدرة الانسان وطاقته ويحثه على مضاعفة جهوده بما لا يقاس. وفي هذا كله كان تشي جيفارا أنصع نموذج وخير مثال.



(الجزء الثاني)

مسعد عرييد

السمات العامة لفكر وإرث تشى جيفارا

الركائز الفكرية لجيفارا

لم يملك جيفارا الإجابة على العديد من الأسئلة. وليس لنا أن نتوقع ذلك. والحقيقة أننا ما زلنا حتى اللحظة نبحث عن بعضها ولن نصل إليها إلا من خلال التجربة والممارسة والإفادة من أخطائها وعبرها. إلا أن جيفارا ساهم في إنارة الكثير منها وفي رسم الأطر التي يتم البحث عن الإجابات من خلالها.



ويجدر بنا هنا أن نتوقف، ولو استطرادًا، لعرض سريع لأهم محطات المسيرة النضالية لتشي جيفارا، كي يتلمس القارئ الكم الثقيل من المهام والمسؤوليات التي أخذها جيفارا على عاتقه والدور الذي لعبه في غضون السنوات القليلة قبل استشهاده. فبعد انخراطه في الثورة الكوبية عام 1956 تحت قيادة فيدل كاسترو وانتصار هذه الثورة عام 1959، ساهم جيفارا بكل ما أوتي من طاقة في تكوين المجتمع الجديد ومرحلة بناء الاشتراكية وإشكاليات التحول الاشتراكي في كوبا، وتوفير الاحتياجات الأساسية والإنسانية ومهام التنمية الاقتصادية والاجتماعية للشعب الكوبي.

وقد تولى في هذه الأثناء العديد من المناصب الحزبية والحكومية ومثل كوبا في المحافل الدولية، وله يعود الفضل الكبير في نسج علاقات التعاون والصداقة مع البلدان الاشتراكية ودول العالم الثالث. وبعد أن غادر كوبا عام 1965، خاض حرب العصابات في حملتي الكونغو (1965) وبوليفيا (1966 - 1967). غير أن هذه المسؤوليات لم تُفَعِّده عن خوض العديد من المعارك السياسية والفكرية، نذكر منها صدامه مع النمط الاقتصادي والإنتاجي السوفييتي، ومساهماته الاقتصادية في مجال التنمية والبناء الاشتراكي، وأطروحاته في حرب الغوار ونظرية البؤرة، وخلق الإنسان الجديد، العمل الطوعي، الثقافة والتثقيف الذاتي، والأخلاقية الشيوعية وغيرها.

على الرغم من تعدد ساحات النضال والأبعاد النظرية والعملية لفكر جيفارا، فإن المسؤولية تملّي ضرورة العودة إلى الركائز الأساسية لهذا الفكر قبل الولوج في التعريف بسماته. ويمكننا القول بأن فكره ومسيرته النضالية يتمحوران حول الركائز التالية:

1) رفض واقع الشعوب الفقيرة والمضطهدة في أميركا اللاتينية والعالم الثالث والعالم بأسره، واقع التخلف والظلم والفقر والجوع والمرض، وضرورة الثورة من أجل تغيير هذا الواقع لتحقيق مصالح هذه الشعوب وتنميتها والإيفاء بحاجاتها المادية والروحية.



دراسات وبحوث

(2) يتطلب تشخيص هذا الواقع تحديد القوى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المسؤولة عنه. وقد حددها جيفارا بوضوح في الرأسمالية والإمبريالية، بزعامة الولايات المتحدة كعدو الإنسانية الرئيسي، مما يعني أن تغيير هذا الواقع يستلزم محاربة هذا العدو كونه السبب الجذري في مشاكل الشعوب. ولكن جيفارا لم يتجاهل العملاء المحليين والمرتبطين طبقياً ومصالحاً بالإمبريالية الأميركية بل خاض ضدهم ومن أجل إسقاطهم نضالاً دؤوباً دون هوادة.

(3) اعتنق جيفارا أسلوب الكفاح المسلح وحرب الغوار (حرب العصابات) في مقارعة الإمبريالية الياكرية، كما كان يسميها، وعمالها المحليين، ولكنه وبالقدر ذاته أكد على حق الشعوب بالكفاح بكافة الوسائل المتاحة للمقاومة الشعبية وأشكالها المتعددة.

(4) أفضت هذه الرؤية بجيفارا إلى البحث عن الحلول والبدائل والتي تمثلت في بناء الاشتراكية، كسبيل للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية، ما أملى عليه التصدي لإشكاليات التحول الاشتراكي، وقدم في هذا المضمار مساهمات كبيرة منها خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية وتكوين الوعي النقدي والثوري والأخلاقية الثورية والشيوعية وخلق الإنسان والمجتمع الجديدين وغيرها.

أما فكر جيفارا وإرثه ومجمل تجربته، فقد تميّز بسمات عديدة، انتقينا أهمها في الفقرات التالية. والحقيقة أن كلاً من هذه السمات جديرة بدراسة مستفيضة، إلا أننا سنكتفي بهذا العرض الموجز:

(1) كان جيفارا رجل عصره بامتياز، وبهذا نعني أنه كان نتاجاً للظروف الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية لتلك المرحلة الفريدة: مرحلة ما بعد الحرب الإمبريالية الثانية (1939 - 1945) والنصف الثاني من القرن العشرين. وقد اعتبر جيفارا من خلال قراءته للواقع أن المهمة الملحة والمركزية هي الإيفاء بالاحتياجات الاجتماعية والإنسانية، المادية والروحية، لشعوب أميركا اللاتينية والعالم الثالث، والتزم بفكره ونضاله بالفقراء والطبقات الشعبية في تلك المجتمعات.



دراسات وبحوث

(2) الرؤية الشمولية المتكاملة: لا يتسنى فهم أفكار تشي جيفارا ورسالته من خلال عبارات أو أفعال معزولة ومنفصلة عن بعضها البعض، بل كجوانب متعددة لكانن عضوي واحد، تتعدد مفاهيمه وساحات نضالة ولكنها تظل متناغمة مترابطة فيما بينها ومصوبة نحو تحقيق أهدافها.



(3) التصاقه بقضايا الفقراء ورفض الظلم أينما كان: لعل من أهم مساهمات جيفارا في الفكر الثوري والتراث الإنساني هو انحيازه التام لقضايا الفقراء ودفاعه عن مصالحهم. وقد تميز موقفه هذا، أولاً وفعلاً، بإنسانية وأهمية عميقة وبقناعة بأن معاناة الإنسان أينما كان هي قضية الإنسانية بأسرها. وتشكل هذه السمة النبيلة الركيزة الأساسية في الوعي والممارسة الثورية والاممية لأي مناضل.

التزم جيفارا، منذ بواكير وعيه، بالفقراء وحبهم وإيمانه بقضاياهم وضرورة الإيفاء باحتياجاتهم، فاحتلت هذه القضايا موضعاً مركزياً في فكره السياسي والاجتماعي، وسبق التزامه بهذه القضايا أي نشاط سياسي له وشكل لبنة أساسية في تكوينه السياسي والثوري.

لم يكن جيفارا فقيراً ولا جائعاً، فقد توفرت له فرصة دراسة الطب وسبل العيش الكريم، إلا أنه فهم جيداً، كما لم يفهم كثيرون، بؤس أولئك الذين لا يملكون شيئاً ولا حتى لقمة العيش. وقد



تكوّن هذا الوعي لدى جيفارا خلال رحلاته التي جال خلالها القارة الأميركية اللاتينية والتي عمّقت هذا الشعور من خلال مشاهدته لمآسي الجوع والفقر والمرض، فأضحت رسالته وغايته في الحياة منذ تلك اللحظة "مساعدة هؤلاء الفقراء والجياع". وقد لازمه هذا الشعور طيلة حياته وكان من أهم ما ميّزه ككاتب. فلا عجب إذن أن نرى حتى يومنا هذا أن مثال جيفارا ونضاله حاضران دومًا في نضال الفقراء والعمّال والفلاحين رغم كل محاولات التخريب والتشويه.

4) الرؤية التأسيسية: لقد كتب تشى جيفارا للناس ومستقبلهم برؤية ثابتة وكأنه يخط بقلم المستقبل لمرحلة قادمة، لأجيال جديدة وإنسان جديد. وبهذا المعنى، بوسعنا أن نصف الكثير من كتاباته بـ "التأسيسية"، أي التأسيس لمرحلة قادمة.

وقد جاء التاريخ ليؤكد أن جيفارا كان مصيبيًا وسبقًا وناقدًا في تحليله وقرائته للأوضاع في عصره واستشرافه للمستقبل على ضوء هذه القراءة. والأمثلة على هذا كثيرة، وحسبي هنا أن أذكر:

أ) أنه نخبه إلى نظام التمييز العنصري الأرباهايد في جنوب أفريقيا عام 1962، وبهذا يكون قد سبق "الغرب الديمقراطي" بثلاثة عقود.

ب) حذر جيفارا من مغبة ومخاطر المؤسسات المالية العالمية (صندوق النقد الدولي، البنك الدولي، منظمة التجارة العالمية) كادوات للرأسمالية قرابة ثلاثين عامًا قبل أن تقوم هذه المؤسسات من خلال سياساتها المالية بتدمير اقتصادات العديد من البلدان وتوريطها بديون هائلة لا تقوى على تسديدها وستعاني من تبعاتها لسنوات طويلة.

ج) حذر من النمط الاقتصادي السوفييتي ومن استخدام السوفييت لفائض القيمة في التخطيط الاقتصادي وأثارة السلبية والمدمرة على المجتمع، وقد أصبحت هذه المسألة اليوم مألوفة وعلى لسان الكثير من المحللين الاقتصاديين. (انظر لاحقًا)



(5) تحديد العدو... الوضوح والدقة والجرأة: اتسم جيفارا بدقته في تحديد العدو في سياق مرحلته وكفاح الشعوب المقهورة ضد الرأسمالية والإمبريالية الأميركية. وقد كان تحديده للعدو يمثل هذا الوضوح والدقة، سبباً في إدراجه مبكراً على قائمة اغتيال أعداء الولايات المتحدة والمطلوبين لمخابراتها.

ولكن لماذا الرأسمالية والإمبريالية؟

لأن الرأسمالية بمصالحها وجشعها وانفلاتها في تحقيق الأرباح القصوى، تتنافى مع مصالح الإنسانية أينما كانت ولا توفر أي مشترك يمكن له أن يجمع البشرية على أرضية واحدة ومشتركة.

□ هذا العداء للولايات المتحدة ليس أمراً مستغرباً في سياق المرحلة التي عاش فيها تشي جيفارا وخلال سنوات طفولته ومراهقته والتي شهدت هيمنة الشركات الأميركية على اقتصادات بلدان أميركا اللاتينية واستغلال ثروات شعوبها، ناهيك عن التدخل السافر في سيادتها وشؤونها السياسية. وحيث لأم جيفارا الإمبريالية الأميركية والرأسمالية وحملها مسؤولية هذه الآفات الاجتماعية والاقتصادية، فقد تبنى العقيدة الشيوعية والنضال من أجل محور الرأسمالية.

□ رفض جيفارا المقولة التي تدّعي أن التخلف في بلدان العالم الثالث هو طبيعة المرحلة التي تمرّ بها هذه البلدان والادّعاء بأنه الطور الذي يسبق النمو الاقتصادي كما تزجّج الرأسمالية، بل اعتقد بروية ثاقبة أن السبب الجذري في تخلف هذه الدول هو النهب الإمبريالي لثرواتها المادية والبشرية، وهو ما أتاح للدول المتطورة أن تبني تقدمها ورفاها. بكلمات أخرى، كان جيفارا يرى أن رفاه شعوب الدول الاستعمارية يقوم على حساب الشعوب الفقيرة ونهب مواردها.

□ يميل كثير من المحللين إلى الاعتقاد بأن عداء جيفارا للولايات المتحدة والإمبريالية الأميركية واعتبارها "العدو الرئيسي للإنسانية"، قاده إلى



دراسات وبحوث

معاداة كل ما تحبه أو تطالب به أميركا. إلا أن مثل هذا التحليل يظل تبسيطاً ساذجاً يغلب العوامل الشخصية ويتنكر للركائز الفكرية والمفاهيمية لتشي جيفارا. فمعاداته للإمبريالية الأميركية كانت تقوم أولاً وأخيراً على تناقض المصالح: مصالح الشعوب في الحرية والتنمية والعيش الكريم من جهة، وفي الجهة المناقضة مصالح الرأسمالية والإمبريالية القائمة على نهب ثروات هذه الشعوب.

□ يرى جيفارا أن اتخاذ موقف حاسم من الصراع يقوم على فهم حقيقته (الصراع) وبدون هذا الفهم لا يتسنى تحديد موقف واضح وجذري منه. وعليه، فإن من لا يفهم الصراع، أو من لا يريد أن يفهمه، فهو بالضرورة عاجز عن حسمه.

□ بناءً على هذا الفهم، أكد جيفارا في كل أطروحاته على عدم إمكانية التصالح أو المساومة مع الإمبريالية والرأسمالية بسبب طبيعة التناقض التناحري بينها وبين شعوب العالم الثالث. فالغرب الرأسمالي لا يفهم لغة الحوار، وإن حاور فهو يحاور عن خبث وتخطيط مسبق، كما أنه لا يتحاور إلا إذا وجد نفسه في حالة ضعف ووهن أو إذا واجه عدواً قوياً أو كلاهما.

□ تحديد العدو بدقة كان يعني أيضاً أن المواجهة معه مستمرة حتى النهاية وحتى حسم الصراع ومن هنا جاءت مقولته "حتى النصر دائماً"، وشعارات الثورة الكوبية التي أطلقها الزعيم الكوبي فيدل كاسترو: الوطن أو الموت، سننتصر! Patria o muerte. Venceremos!

(6) تحديد العدو والوعي الثوري: على ضوء التحديد والفهم الدقيقين لطبيعة الصراع وأطرافه ومكونات معسكر الأعداء، ركّز جيفارا على أهمية ودور الوعي النقدي والثوري. فالوعي الثوري يصبح البوصلة التي تحدد اتجاه النضال والحراك والمقاومة، وهو الذي يحمي الثورة من الردة والتراجع ومن الامتناء الانتهازية والتلاعب والتسلق والغدر.

(7) المقاومة هي ركيزة النضال الأساسية: لم يكتف جيفارا بتحديد العدو الدقيق للعدو، بل دعى بدون كلل ومن كافة المنابر، إلى مقاومة هذا العدو في كل



مكان. من هنا، وفي هذا السياق، جاءت صرخته لمساندة شعب فيتنام في حربه ضد الإمبريالية الأميركية ولخلق العديد من "الفيتنامات" لمقارعتها.

(8) إنسجام النظرية والممارسة: كثيراً ما تبدو الكتابات الثورية والساعية إلى التغيير طوباوية أو أنها تفترق عن الواقع بمسافات، غير أن كتابات جيفارا تميزت بالالتصاق بالواقع والنضال من خلاله. ومن هنا نرى أن جيفارا توصل إلى نظريته وبنى مفاهيمه عبر تجربته وممارسته النضالية، واستمر في تطويرها بالقدر الممكن على ضوء حصيلة ودروس هذه التجربة. وقد جاءت أفكاره جامعة مترابطة مع ممارسته بروابط وثيقة تشكل وحدة عضوية بين النظرية والممارسة: نظرية تشخص الواقع وتحلله، وانغماس عملي في النضال من أجل تكوين الواقع الجديد.

وقد عُرف عن جيفارا اهتمامه البالغ بتحليل الموقف النظري، ولكنه حرص دومًا على الجانب العملي والتطبيقي منه: أي تحديد الموقف النظري بدقة من أجل الاستفادة من ذلك في تحديد موقعه ودوره في العملية النضالية، وهو القائل "نحن من أولئك الذين يضعون أرواحهم على راحت أيديهم، من أجل البرهنة على حقانهم". بهذا المعنى، فإن فكر جيفارا يشكل تربة فكرية خصبة وموقعًا نضاليًا في أن واحد ليبنى في المحصلة فكرًا نقديًا وثورياً لتحرير الإنسان والمجتمع وخلق ثقافة جديدة و"إنسان جديد".

وهذه سمة فريدة للمفكرين الثوريين تنطوي على عظمة وديمومة رسالتهم الثورية التي طالما قصّت مضاجع أصحاب السلطة والهيمنة. فالمفكرون الثوريون لا يسيطرون روائع الثورة على الواقع القائم وبناء مستقبل أفضل، دون أن يشكلوا تهديدًا للقوى المهيمنة ومصالحها. لهذا السبب ذاته، وبسبب فكره الثوري، وقع جيفارا منذ مرحلة مبكرة ضمن دائرة اهتمام الاستخبارات الإمبريالية الأميركية منذ عام 1954 أثناء نشاطه في غواتيمالا وقبل انخراطه في الكفاح المسلح والثورة الكوبية، واستمرت ملاحقته حتى استشهاده.

(9) تشي جيفارا... الثائر العملي: لو حكمنا على جيفارا وفق قول خوسيه مارتين، "أن الرجل العملي هو الوحيد الذي يتحول حلمه اليوم إلى قانون



الغد"، لأدركنا كيف توجب على جيفارا أن يكون عملياً وأن يجمع بين النظرية والممارسة، بين الكلمة والبندقية، وهو ما حدا به إلى رسم استراتيجية ثورية تحدد المهام الملحة والآنية ولكنها تظل في رؤيتها بعيدة المدى تتجاوز الأنى لترتبط مباشرة بالواقع القائم ولتبقى مصوبة دائماً نحو بوصلة الشعوب الفقيرة واحتياجاتها ومصالحها.

على ضوء ما تقدم، يمكننا القول بأن "جيفارا العملي" حقق الوحدة والإنسجام بين أفكاره وممارسته الثورية، وجاء معبراً عن، ومتناغماً مع، الاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية لشعوب أميركا اللاتينية والعالم الثالث وكافة فقراء ومضطهدي العالم.

10) الوعي الثوري الجديد

أ) معاني الوعي الثوري: لم يؤمن تشى بأن هناك طبيعة بشرية محددة مسبقاً علينا أن نقبلها كما هي. على العكس من ذلك، كان يرى أن المهمة الأساسية تكمن في تطوير العلاقات الإنسانية وسبل تحولها وتحسينها وتطويرها من أجل خلق الوعي والإنسان الجديد. كان يرى أن إنسان "القرن الحادي والعشرين سوف يكون نحن أنفسنا". وتبدأ هذه العملية في بداية الكفاح، إذ أننا "في موقف مقاتلينا نلمح رجل المستقبل (...). إن إيجاد صيغة للحياة اليومية لاستمرارية واستدامة هذا الموقف البطولي هو واحدة من مهامنا الرئيسية من وجهة النظر الأيديولوجية".

وبشأن التحول الاشتراكي يقول: "من أجل بناء الشيوعية، وبالتوازن مع توفير الأساس المادي، علينا أن نبني الإنسان الجديد (...). ويجب أن يتحول المجتمع كله إلى مدرسة كبيرة عملاقة". وفي سبيل المضي قدماً في تحقيق هذه الأهداف الطموحة، لا ينسى جيفارا أوجه التقصير الهائلة والأخطاء والتشوهات الناتجة عن العملية نفسها ومن خلالها، والتي انتقدتها بلا هوادة ودون كلل أو غموض. في هذا المجال، كما في غيره، نرى الكثير من العمق في معانيه وصياغة المفاهيم وتقديم التحليل في الوقت المناسب.



ب) جدلية الوعي والممارسة والعمل: ربط تشي الوعي بالعمل البشري (والعمل الطوعي أيضًا)، وبهذا منحه معانٍ جديدة أكثر عمقًا وشمولية. وفي صيرورة العمل وجدليته مع الوعي واشتباك كلاهما مع الواقع يولد الإنسان الجديد.

كان جيفارا يدرك أن المرحلة الراهنة المثقلة بالكثير من المسؤوليات والتحديات والتعقيدات، لن تستطيع تحقيق كافة المهام ولا أن تقلب المفاهيم السائدة أو تخلق الإنسان الجديد. بل ما كان يقصده هو التمهيد لفكرة خلق الوعي الثوري كي تدخل مجال العمل ثم اتحادها معه واشتباكها مع الإنتاج والممارسة والتجربة بغية تراكم التجارب وصولاً إلى الحالة الأرقى، الوعي الأرقى. ويتضمن هذا، في ما يتضمنه، مفهومًا مركزيًا من مفاهيم جيفارا وهي أن الممارسة هي التي تخلق الوعي الجديد. فالواقع يستدعي الحاجة إلى خلق وعي جديد للنضال من أجل تجسيد الأهداف وتحقيقها. بكلمات أخرى، أمن جيفارا بأن الممارسة النضالية تخلق واقعًا ثوريًا وحالة نضالية تساهم في خلق الوعي وخلق الثقافة الجديدة.

ج) جدلية الوعي والإنتاج: رأى جيفارا أن خلق الوعي الثوري الجديد يرتبط جدليًا بعملية الإنتاج والعلاقات الإنتاجية (الطبقية)، ومن هنا نظر إلى العمل كـ "واجب اجتماعي". لقد رفض جيفارا، المفاهيم التقليدية في العمل – معدل الأجور، الحوافز المادية والمكافأة المالية للعمال، تعويض العاطلين عن العمل وغيرها من الظواهر التي شاهدها في زيارته للاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية في أوروبا الشرقية – وعمل على ترسيخ مفهوم "العمل كواجب اجتماعي"، ومحاربة سلعة العمل. كل هذا اقتضى، حسب جيفارا، تغيير العلاقات الطبقية والاجتماعية من أجل خلق ثقافة جديدة حيال عملية الإنتاج قوامها وشرطها الأساسي أن يتوقف الإنسان عن كونه سلعة، وإقامة نظام يوفر للإنسان القدرة على تأدية عمله كإيفاء لواجبه الاجتماعي. وقد حاجج بدأب مؤكدًا على أن التحرر الكامل للإنسان يتحقق عندما يصبح العمل واجبًا اجتماعيًا يقوم به الفرد برضى تام وحين يدرك أن مهمته الأخلاقية تملئ عليه أن يتفانى في العمل من أجل خير وتقدم المجتمع، وبأن المجتمع



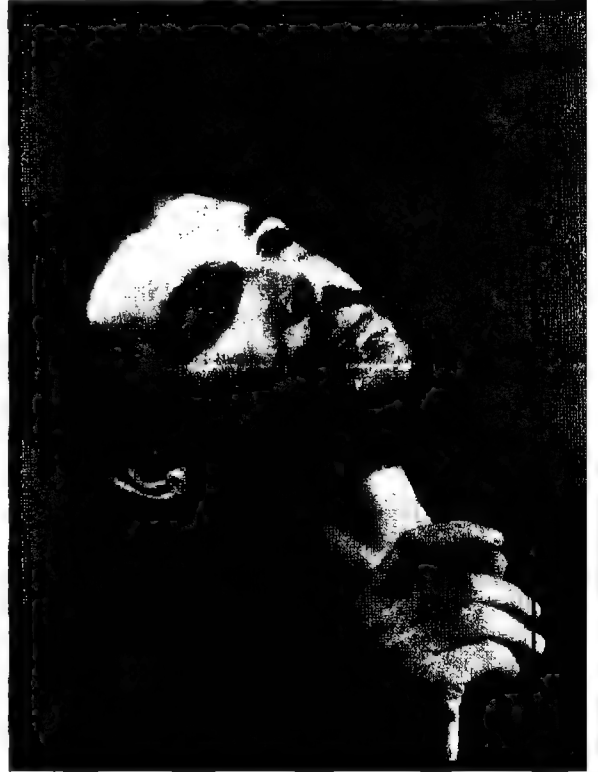
دراسات وبحوث

بالمقابل، سوف يعتني بالعامل وأسرته واحتياجاتهم. وقد دعا تشبي في مسعاه هذا إلى استخدام العديد من الآليات، إلا أنه رأى في "العمل الطوعي" الوسيلة الفضلى لتحقيق ذلك.

(د) تكوين الوعي النقدي والثقافة الجديدة: رأى جيفارا أن الأفكار والمفاهيم السامية والجديدة هي حجر الأساس لأية ثقافة جديدة ووعي نقدي جديد. ولكن على هذه الأفكار والثقافة الجديدة أن تظل ملتصقة بواقع الإنسان وتعبّر عنه وتعمل لخدمة مصلحة والإيفاء بحاجاته، وأن تبقى (الأفكار) في حركة مستمرة ومواكبة لحركة التاريخ والمجتمع ومتفاعلة معهما فاعلة فيهما في تواصل لا ينقطع.

(هـ) الوعي والأجيال القادمة: التفت جيفارا، ربما أكثر من غيره، إلى أن الأجيال الجديدة هي شرط بقاء الثورة وضمانة استمرارها. كما أنه أدرك من خلال قراءته لتاريخ الثورات أن إهمال الأجيال الجديد كناقلة واعية للثورة وضرورة لاستمرارها سيؤدي

إلى هدرها وضياعها هباءً واختفاء إرثها. هذا الفهم للوعي وضرورته ووظيفته في صنع الثورة واستمرارها، هو أحد أسرار استمرارية جيفارا ذاته وديمومة رمزيته وإرثه.





11) الأخلاقية الثورية... الشيوعية... والاغتراب

تنطلق الأخلاقية الثورية، كما رآها جيفارا، من ضرورة اجتماعية ومن طموحات وآمال الجماهير، ومن إرادة لخلق واقع جديد يتناقض مع الواقع القائم وتعمل على تقويضه من أجل خلق مجتمع جديد. بعبارة أخرى، فإن الأخلاقية الثورية تشمل نسقاً من الطموحات والآمال التي تحرض على الرافعة للتغيير والحاملة لمشروعه - على النضال من أجل تغيير الأوضاع القائمة. من هنا، فإن الأخلاقية الثورية ليست طوباوية ولا هي بعيدة عن الواقع أو نفيًا له، كما يوحي منظرو البرجوازية، بل هي وسيلة لتوحيد قوى الطبقات المستغلة على أرضية مشتركة وموحدة من أجل دفعها إلى الأمام. وفي هذا كله، فهي نتيجة للظروف الاجتماعية - الاقتصادية والتطور التكنولوجي والثقافي والحضاري للمجتمع.

وقياساً على هذه المفاهيم، لم يكن جيفارا مجرد ثوري أو منظر للاشتراكية، بل كان قدوة أخلاقية وهو ما لا يقل أهمية. وفي التأكيد على هذا، يقول فيديل كاسترو "إن الاشتراكية دون أخلاق لا معنى لها". في هذا المجال أيضاً، عمل جيفارا دون كلل أن يضع أقواله موضع التنفيذ والممارسة، وأن يحقق التناغم والانسجام بين أفكاره السياسية والاقتصادية والعسكرية على ضوء فلسفته وأخلاقيته الشيوعية عبر سنوات حياته القصيرة. وهنا تكمن أهمية هذه الأخلاقية الثورية والتي شكّلت مساهمة كبيرة وإثراء للنظرية الماركسية والتراث الثوري الإنساني بشكل عام.

12) الوعي والتثقيف الذاتي: لم يتوخَّ جيفارا في أعماله وكتاباتاته أن يتوقف عند حدود التحليل أو الموقف السياسي، وإنما حرص على أن يقدم نموذجاً للسلوك الإنساني والمعرفي والفكري، كما حرص على خلق وعي نقدي ثوري تحليلي قادر على مواجهة التحديات المقبلة والصراعات التي ستتخذ أبعاداً وأوجهة متعددة وجديدة. وتعبيراً عن التزامه الفكري والعملية، ربط جيفارا الوعي والتثقيف الذاتي بالتممية الفكرية والتطور السياسي وبذل

جهوداً كبيرة في صياغة المفاهيم النظرية في خضم نشاطاته ومسؤولياته الكثيرة والمتعددة. وقد كان السعي الحثيث إلى المعرفة والبحث والدراسة والتثقيف الذاتي الصارم الذي اتبعه جيفارا منذ أن كان يافعاً، هو العامل الرئيسي الذي حكم نشاطه وساهم في صقل أفكاره وسلوكه الثوري والإنساني. وقد عُرف عنه شغفه بالقراءة وحبه للكتب حتى في أشد اللحظات صعوبة وخطراً على حياته. أما في مجال تثقيف الفرد، فقد دعا جيفارا إلى ما سماه "التثقيف الذاتي المنظم"، وهي عملية تتخذ مسارين متزامنين:

(1) مسار يقوم فيه المجتمع بالتثقيف والتربية على نحو مباشر وغير مباشر.

(2) والمسار الآخر يتمثل بما يقوم به الفرد مساهماً في عملية تكوين ذاته ووعيه عن طريق التثقيف الذاتي.

(13) "ديمومة تشي": تنتمي أفكار جيفارا من حيث الجوهر إلى الأفكار التي تتسم بقدرتها على مقاومة عوامل التقادم والهرم، لذا ظلت حية نابضة حتى يومنا هذا. ولعلّ مرد ذلك يعود إلى انهماكها العميق بهوم الإنسان من خلال التمسك بالمثل العليا في العدالة والمساواة بين البشر، وبهذا تستطيع أن تنفذ إلى أعماق النفس والعقل البشريين، وأن تدخل التاريخ من بواباته الكبيرة كأحد المفاتيح الرئيسية في حاضر الإنسان ومستقبله. وفي هذا ضمانه حيويتها وقدرتها اللامحدودة على التجدد.

تكمّن ديمومة تشي جيفارا في الحضور الدائم لأفكاره وقدوته لأنها تعبر عن احتياجات الشعوب، وهذه الديمومة تعني أن جيفارا، وما يمثله من فكر ومشروع وقُدوة ورمزية، شيء حي وليس مجرد "شيء من الماضي". بعبارة أخرى، إن ديمومة تشي هي عمل ونضال مستمر من أجل قضايا الساعة، وإن الحفاظ عليها يكون عبر استمرار النضال والمقاومة التي أراد أن يجسدها أثناء حياته كما في لحظة استشهاده.

- انتصار الثورة الكوبية عام 1959 خلف أوضاعاً دولية جديدة تميزت بالتوتر والمواجهة والانشقاق



- صراع أميركي سوفيتي وصل حد المواجهة النووية
- انشقاق خطير في المعسكر الاشتراكي والصين تتهم موسكو بالانهزامية
وخيانة المبادئ الشيوعية.

تميز عام 1960 الذي تميز بانتشار الحرب الباردة في كل من أفريقيا وأمريكا اللاتينية؛ ففي أفريقيا، ظهرت دول حديثة العهد بالاستقلال، وعلى رأسها زعماء سبق لهم أن قاسوا مرارة الاستعمار، وشاركوا في انتزاع استقلال بلادهم، ولذلك كانوا بطبيعتهم يكرهون الغرب، ويتطلعون إلى مساعدة حكومة الاتحاد السوفيتي العدو الأول للدول الغربية، وكان أشهر الزعماء الأفريقيين الدكتور نكروما الذي كان رئيساً لجمهورية غانا، والرئيس سيكوتوري رئيس غينيا، وقد احتدت الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي عندما حدثت أزمة الكونغو، وقد ظهرت تلك الأزمة عندما اضطرت بلجيكا إلى منح الكونغو استقلالها في تموز 1960، ورأى الزعيم لومومبا أن يستعين بالاتحاد السوفيتي لمساعدته في إرساء قواعد استقلال بلاده،

وتدعيم حكمه الذي أقامه في "ستانلي فيل" بينما كانت الولايات المتحدة يؤيدها حلفاؤها في الأمم المتحدة، يعملون على توحيد الكونغو والقضاء على ذلك النظام الذي وقع تحت النفوذ السوفيتي. أزمة كوبا: أما في أمريكا اللاتينية فقد كان صراع الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة على أشده بسبب أزمة كوبا. ولجزيرة كوبا أهمية عالمية فهي أكبر جزيرة في بحر الأنطيل، ولقربها من الولايات المتحدة اكتسبت أهمية إستراتيجية عظمى لدى حكومتها - وكان يحكم كوبا منذ عام 1940 الزعيم "باتستا"، حكماً دكتاتورياً أثار ضده زعيماً يسارياً ألى على نفسه أن يخلص البلاد من "باتستا"، وهو "فيدل كاسترو" الذي كان بطبيعته شيوعياً ماركسياً متجهاً بميوله نحو الاتحاد السوفيتي، وقد فشلت ثورة كاسترو في أول الأمر، ولكن بعد ثمانية عشر عاماً قضاها في السجن ذهب إلى المكسيك، واجتمع حوله عدد كبير من خصوم النظام القائم في كوبا، ودبر كاسترو القيام بمغامرة لغزو الجزيرة في كانون أول 1956، ولكنه فشل



للمرة الثانية، إلا أن أعوانه صمموا على مواصلة الكفاح، حيث لجأوا إلى حرب العصابات مدة عامين. ولما أقدم "باتستا" على مهاجمتهم للقضاء عليهم نهائياً فشلت حملته، وانتصر كاسترو انتصاراً حاسماً، أنهى حكم "باتستا" وتولى الحكم في كوبا في الأول من كانون الثاني 1959. وكان انتصار ثورة كاسترو، حدثاً مهماً مميزاً عن كل الثورات التي حدثت في أمريكا اللاتينية، لأنه كان متحسماً للمبادئ الشيوعية وموالياً للاتحاد السوفيتي، ولذلك كان أول عمل أقدم عليه هو التحالف مع موسكو، وإقامة علاقات دبلوماسية معها. وقد أثار هذا التحالف حكومة الولايات المتحدة؛ لأنها تعد كوبا من المناطق الحساسة القريبة من حدودها. وقد أدى هذا التطور إلى نشوب خلاف مع الولايات المتحدة، وخاصة أن كاسترو بدأ يتدخل في شؤون جيرانه من دول أمريكا اللاتينية، محاولاً تصدير الثورة الشيوعية، وازداد نشاطه في كل من جمهورية الدومنيكان، وهايتي ونيكارغوا وبنما وفنزويلا وغيرها، وذلك بالاتصال بالعناصر الشيوعية في تلك الجمهوريات ومدّهم بالأموال، واتسعت الدعاية التي كان يقوم بها عن طريق الخطابة والإذاعة. ولما كان تحسين أحوال كوبا الاقتصادية هو أول الطريق لنجاح نظام "كاسترو"، عقد معاهدة تجارية مع الاتحاد السوفيتي سنة 1961، نصت على التزام حكومة موسكو بمد كوبا بما تحتاجه من البترول وغيره من المواد التي تفتقر إليها بلاده. ثم اتبع ذلك في ايار 1961 بعقد صفقات أسلحة من الاتحاد السوفيتي، ومن بعض الدول الشيوعية الأخرى. وأخذت حكومة الرئيس أيزنهاور في واشنطن تراقب ما يجري في كوبا في قلق وتأهب، وعزمت على سحق تلك الثورة الشيوعية قبل أن تستفحل في أمريكا بأسرها. وبدأت باتخاذ قرار اقتصادي فاتحة لحرب اقتصادية ضد كوبا، وهو عدم استيراد السكر من كوبا "تموز 1960"، ولما أراد كاسترو الانتقام باتخاذ قرار بتأميم أموال الولايات المتحدة في كوبا، ردت الحكومة الأمريكية بإصدار قرار بفرض المقاطعة التجارية على كوبا، وقطعت علاقاتها الدبلوماسية بها، وفتحت أبواب الهجرة إلى الولايات المتحدة لأعداء كاسترو وخصومه السياسيين. وقرر



الرئيس جون كينيدي عندما تولى الحكم أن يقدم على عمل قوى حاسم يقضي نهائياً على نظام كاسترو في كوبا. وبذلك انتقلت الحرب الباردة إلى منطقة الكاريبي التي تقع فيها كوبا. وفي شهر تموز 1960، أعلن خروتشوف أن الاتحاد السوفيتي يستعمل الصواريخ والقذائف ضد أية أمة تعتدي على كوبا. غزو أمريكي: وفي عام 1961، بدأت حكومة الولايات المتحدة تحت قيادة الرئيس الجديد جون كينيدي تتحرك لتواجه التحدي الشيوعي في أمريكا اللاتينية، وكان معظم الأمريكيين قد بدأوا يشعرون بأن الشيوعية التي يعارضونها، ويقف الغرب كله ضدها، وتنتهج خطأً دكتاتورياً مطلقاً، تهتم في حقيقة الأمر، ولو من الناحية الشكلية، بالشعوب التي ظلت تعاني من الذل والتحكم مدة طويلة. وكانت حكومة كينيدي ترغب، في ذلك الوقت، في أن تمنح الولايات المتحدة سلاحاً أيديولوجياً فعالاً يمكن أن تواجه به الدعاية الشيوعية المغرية. فأعلنت مبدأ "التحالف من أجل التقدم" الذي كان يهدف لتنمية الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية وتحقيقها في أمريكا اللاتينية من طريق منظمة الدول الأمريكية. وكان على الولايات المتحدة الأمريكية أن تقدم الوسائل والإمكانيات، وعلى قادة أمريكا اللاتينية أن يتجهوا بمجتمعاتهم نحو الديمقراطية الأمريكية، والتخلص من ظروف الفقر التي تنمو وتزدهر في ظلها الشيوعية. وقد واجه مشروع "التحالف من أجل التقدم" صعوبات خانقة منذ ظهوره إلى حيز الوجود، لأنه لم يكن يسعى، في حقيقة الأمر، إلا إلى وقف تيار الشيوعية، ولم يكن يهتم كثيراً برفع مستوى الشعب في أمريكا اللاتينية. والواقع أن جون كينيدي ورث عن سلفه أيزنهاور مشكلة كوبا التي تعد فصلاً مهماً من فصول تطور العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وأمريكا اللاتينية. ففي نيسان 1961 فكر في القيام بمغامرة عسكرية، كان أيزنهاور نفسه قد أمر ببحث وسائلها، وهي فكرة غزو كوبا بقصد الإطاحة برئيسها فيدل كاسترو. ولم يكن الأمر سهلاً لأنه قد يؤدي إلى مواجهة عسكرية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي. فقد سبق في اجتماع الجمعية العمومية للأمم المتحدة في نيويورك عام 1960، أن أظهر الزعيم الروسي خروتشوف تعاطفه مع كاسترو،



دراسات وبحوث

وكانا يظهران أمام رجال الصحافة وهما متعانقان، وكان خروتشوف يصرح لهم بأن أي عدوان على كوبا لن يمر دون التدخل السوفيتي. كذلك كان كاسترو يصرح بأنه شيوعي ماركسي، ثم أعلن اعتراف كوبا بحكومة الصين الشعبية الشيوعية، وبحكومة كوريا الشمالية. وفي شهر كانون الثاني، أي قبل الاحتفال في الولايات المتحدة بتقلد الرئيس الجديد جون كينيدي منصبه، أمر كاسترو بإبعاد العدد الأكبر من أعضاء السفارة الأمريكية في العاصمة الكوبية هافانا على أن يقتصر موظفوها على أحد عشر عضواً فقط، وأن يغادر المبعدون كوبا في ظرف أربع وعشرين ساعة وقبل أن يغادر أيزنهاور البيت الأبيض أمر بقطع العلاقات الدبلوماسية مع كوبا. وفي هذه الأثناء كان ممثلو كوبا في هيئة الأمم يقومون بالدعاية ضد الولايات المتحدة، ويشكون من أن حكومتها تقوم بتدريب قوات من خصوم كاسترو العسكريين الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة على حرب العصابات، ومعظمهم من أنصار "باتستا" رئيس كوبا السابق. والواقع أن حكومة الولايات المتحدة كانت فعلاً تدرّب هؤلاء في معسكرات خاصة، وتزودهم بالأسلحة والذخيرة حتى أصبحوا على استعداد للقيام بالمغامرة المطلوبة. وفعلاً بدأت عملية الغزو بتشجيع حكومة كينيدي وتأييدها. ولكن ما أن وطنت الحملة أرض الجزيرة حتى هاجمها سلاح الجو الكوبي، ثم هاجمتها قوات الميليشيا التابعة لكاسترو، وقضى على الحملة في ثلاثة أيام، ولم يستطع الرئيس كينيدي أن يقدم أية مساعدة عسكرية فعالة للمهاجمين؛ لأنه كان يشترط للقيام بالغزو ألا تشترك القوات الأمريكية اشتراكاً فعلياً في المغامرة. إلا أن فشل هذه الحملة كان ضربة أليمة للسياسة الأمريكية. وانتهاز خروتشوف فرصة خيبة الأمل التي منيت بها الولايات المتحدة لكي يحقق هدفاً سياسياً وعسكرياً في كوبا، وهو أن يحولها إلى قاعدة عسكرية روسية يضع فيها كمية كبيرة من الصواريخ النووية أرض/جو. واتباع ذلك بإرسال عدد من الطائرات المقاتلة ميج 21 من حاملات القنابل النووية، والطائرات المهاجمة حتى اكتمل ذلك الخطر الحربي في 22 أكتوبر 1961، وأصبحت بعض مدن الولايات المتحدة على



مرمى قريب من تلك القاعدة السوفيتية في البحر الكاريبي. أحست الولايات المتحدة بالخطر المحدق بها، فقد علمت بتلك العملية بعد ثلاثة أسابيع من بدنها. وظنت في أول الأمر أن كل ما جرى في كوبا إنما هو محاولة الاتحاد السوفيتي مد يد المعونة العسكرية لحليفته بقصد الدفاع عن نفسها، طبقاً لما كانت تعلنه موسكو، مؤكدة أن الأسلحة دفاعية، وأن الاتحاد السوفيتي لا يضمّر أي مقاصد عدوانية، إلا أن المخابرات الأمريكية اكتشفت مدى المؤامرة السوفيتية، وتوفر لديها العديد من صور قواعد الصواريخ. عندئذ أعلن الرئيس كينيدي في 22 شباط 1961 على الشعب الأمريكي أن الولايات المتحدة تواجه أخطر تحدٍ لها في الحرب الباردة خلال السنوات العشر الأخيرة. وقرر أن يقف في حزم وقوة لمواجهة ذلك التحدي، دون أن تلجأ حكومته إلى عرض المسألة على هيئة الأمم المتحدة. بل كان أمام حكومة كينيدي ثلاثة اختيارات عليها أن تنفذ أحدها، الأول أن تقوم القوات الأمريكية بالهجوم الخاطف على كوبا، مسبقاً بضربة جوية لتحطيم الصواريخ والطائرات الرابضة على أرض كوبا، قبل أن تنطلق للرد على العملية. والثاني الاكتفاء بالضربة الجوية وحدها، والأخير فرض حصار على الجزيرة حتى يجد خروئتشف نفسه مضطراً لسحب الأسلحة الروسية من الجزيرة. وعندما روجعت تلك الاختيارات، وجد أن الخيارين الأول والثاني قد يؤديان إلى قيام حرب نووية، يترتب عليها سخط العالم كله على الولايات المتحدة، وضياع أرواح عديدة من الكوبيين، بل ومن العسكريين الروس الموجودين في منطقة الصواريخ، وقد يؤدي كل ذلك إلى مخاطر لا يعلم مداها إلا الله. لذلك فالحصار البحري هو البديل المفضل. وبدأ الاستعداد لذلك في سرية تامة: وعندما اكتمل الاستعداد في 22 تشرين الأول 1961، أذاع الرئيس كينيدي على الشعب الأمريكي عزمه على تنفيذ الحصار لمنع الكارثة، وذلك بعد أن طالب الاتحاد السوفيتي بإزالة الصواريخ التي وضعها في الجزيرة، ووقف شحن الأسلحة الهجومية إليها، وأعطى للروس مهلة عشرة أيام لتنفيذ ذلك. وفي الوقت نفسه دعا مجلس الأمن إلى الانعقاد لاتخاذ موقف حاسم إزاء خطورة الموقف، وقد صوت



دراسات وبحوث

المجلس بالإجماع بمنع شحن مزيد من الأسلحة الروسية إلى كوبا، وحاول الاتحاد السوفيتي أن يعيد ما سبق أن أعلنه من أن الأسلحة التي شحنها إلى الجزيرة ليست هجومية. إلا أن الحصار الأمريكي استمر ساري المفعول، وحاول "يوتانت" الأمين العام للأمم المتحدة أن يتدخل بين الطرفين، واقترح تأجيل القيام بأي إجراء لمدة أسبوعين أو ثلاثة، حتى يمكن حل الأزمة بالمفاوضة السلمية. ووافق خروتشوف، وكذلك وافق جون كينيدي بشرط أن يستمر الحصار حتى تتم المفاوضة على سحب القواعد السوفيتية. والواقع أن هذه الحقبة من تاريخ الحرب الباردة جعلت العالم كله ينتظر ما سيسفر عنه الموقف بقلق وانزعاج، نظراً لخطورة الموقف، إذ أصبح نشوب القتال أمراً لا مفر منه، إلا أن خروتشوف رأى أمام المأزق الذي وضع نفسه فيه، أن يتراجع عن موقفه، وأمر سفنه التي كانت في طريقها إلى كوبا بالعودة من حيث أتت، وبذلك انتصرت الولايات المتحدة انتصاراً سياسياً كبيراً اهتز له العالم أجمع. ولم يكتف خروتشوف بهزيمته السياسية، بل كتب رسالة إلى الرئيس جون كينيدي يعيد عليه الادعاء بأن الأسلحة التي أرسلت إلى كوبا كانت إجراء دفاعياً وليس هجوماً، وأضاف أنه إذا تعهدت الولايات المتحدة بعدم الإقدام على غزو كوبا، ورفعت عنها الحصار، فإن الاتحاد السوفيتي سيعدل عن سياسة الوجود في كوبا بأي حال. وبعد أن اطمأنت السياسة الأمريكية بعد رسالة خروتشوف، وصلت إلى الرئيس كينيدي رسالة أخرى يطالب فيها خروتشوف بأن تسحب الولايات المتحدة الصواريخ الأمريكية المقامة في تركيا، وذلك في مقابل سحب الصواريخ الروسية من كوبا، إلا أن كينيدي رفض تلك المساومة على اعتبار أن مسألة كوبا لا صلة لها بأي شيء آخر، وفضل أن يتجاهل تلك الرسالة الأخيرة، وأجابه على رسالته الأولى فقط، بقبوله فتح باب المفاوضات على أساس وقف كل نشاط سوفيتي، واقتلاع جميع الصواريخ المقامة في كوبا. ولما وصلت رسالة كينيدي إلى خروتشوف في 27 تشرين الأول، وافق على ما جاء فيها، وأعلن سحب الصواريخ الروسية وشحنها إلى الاتحاد السوفيتي، معتقداً أنه بانسحابه من المواجهة العسكرية مع الولايات المتحدة الأمريكية



حصل على مكسبين: أولهما استحقاقه احترام العالم لأنه تصرف بحكمة وتعقل في أخرج المواقف التي قد تزج العالم كله في حرب عالمية ثالثة. وثانيهما حصوله على وعد من الولايات المتحدة بأنها لن تقوم في المستقبل بغزو كوبا لإسقاط نظام كاسترو. ولكن تراجع خروتشوف في الواقع كان له أثره في الكتلة الشيوعية، وعلى الأخص في الصين الشعبية التي اتهمته بأنه أخطأ مرتين: الأولى عند قيامه بإقامة الصواريخ الروسية النووية على أرض كوبا، والثانية عندما وقف موقفاً فيه جبن وتقهقر عندما أذعن لتهديد الرئيس كينيدي، وقرر سحب صواريخه في ذله وخنوع، ووصفه زعماء الصين الشيوعية بأنه "نمر من ورق". وقد كان لأزمة كوبا الخطيرة أثرها في كلا المعسكرين، فقد كان العالم أثناءها مهدداً بانفجار حرب نووية لا يعرف أحد مداها، ولذلك فكر كل من جون كينيدي ونيكيتا خروتشوف في إنشاء خط اتصال تليفوني مباشر بين رئيس الدولتين، وتمت الفكرة فعلاً عام 1963 وأنشئ "الخط الساخن" Hot Line بين موسكو وواشنطن، وكان القصد منه الاتصال الفوري بين الرئيسين عند حدوث خطر يهدد السلام؛ لتدارك الموقف قبل تفاقمه، وتلافي اندلاع حرب نووية تجر العالم إلى الخراب والدمار. ولم تكن الأزمة الكوبية نقطة تحول في الحرب الباردة لمجرد أن خروتشوف تراجع وأعلن السوفييت أنهم قد اتخذوا طريقاً للسلام قبل أن تتطور الحرب الباردة إلى اتجاه خطير، ولكنها برهنت للعالم أجمع على أن الولايات المتحدة كانت على استعداد للدفاع عن ذاتها بأي حساب، ومهما يكن الثمن، وأنها كانت على استعداد لمواجهة خطر الهجوم النووي إذا تطلبت الأوضاع ذلك، ومواجهة أي تهديد مباشر في الحال. وقد تعلم كينيدي من هذه الأزمة كيف ينتهج سياسة تسير على الخيط الرفيع الواقع بين اللين والاتفاق وبين العدوان. وحدثت بعد ذلك محاولات ومفاوضات بين القوتين الكبريين لعقد اتفاقيات لتحريم إجراء التجارب النووية، واشتركت في المفاوضات دول أوروبية أخرى على رأسها إنجلترا. ومع ذلك ظلت روسيا والولايات المتحدة تقومان بتلك التجارب سراً، ولم تمنع الاتصالات كل منهما أن يحتاط للمستقبل بالألا يدع الطرف الآخر يتفوق



دراسات وبحوث

عليه في هذا المجال، ولذلك كان الزعيم الروسي خروتشوف، ومن تولى بعده يعملون على ألا يتعرض الاتحاد السوفيتي مرة أخرى لأخطار التفوق الأمريكي. ومن هنا أخذوا يرصدون الأموال الكثيرة لإنتاج الأسلحة النووية. وقد بدأت زيادة إنتاجها منذ عام 1964، وتضاعف في عام 1967، ومع ذلك كان لدى الولايات المتحدة ما يقرب من ثلاث أضعاف السلاح الروسي. واستمر السباق، سباق الكم وسباق الكيف. ومع تظاهر كل من الفريقين بالعمل على منع التصادم والمواجهة بين الشرق والغرب، فإن الأزمات السياسية لا تزال تفرض نفسها على العلاقات بين الكتلتين، ولا تزال أزمة الثقة تتحكم فيها حتى سقط الاتحاد السوفيتي. فرنسا ديجول: واجه الرئيس جون كيندي اتجاهات معاكسة خاصة من جانب فرنسا: ففي عام 1963 جعل الجنرال ديجول قوات حلف شمال الأطلسي عاجزة عن العمل بصورة فعالة، كما تريد الولايات المتحدة. وأعلن عن نيته في خلق قوة نووية مستقلة خارج نطاق حلف شمال الأطلسي. ورفض أن يتبع الطريق الذي أطلق عليه اسم "الهدف الأكبر" الذي يؤيده الرئيس الأمريكي، وهو إنشاء مجتمع أوروبي واحد يعتمد على تكوين السوق المشتركة، وعلى إمكانية دخول الولايات المتحدة فيه. وفي عام 1963 عرقلت فرنسا دخول بريطانيا هذه السوق المشتركة، وهذا يعنى منع وجود تكامل في أوروبا، وبدأت في الوقت نفسه تخطب ود ألمانيا بعيداً عن حليفها القوية - الولايات المتحدة الأمريكية - وذلك من طريق تقوية الروابط الفرنسية - الألمانية، ولا شك في أن رغبته في إعادة إحياء عظمة فرنسا بعد أن فقدت إمبراطوريتها في فترتي الخمسينيات والستينيات من هذا القرن، من طريق إنشاء "قوة ثالثة في أوروبا" للوقوف بين القوتين الكبيرتين، تعدد الولايات المتحدة الأمريكية موقفاً مخالفاً لاتجاه سياستها. عوامل التحول في القوتين: وقد شهدت حقبة الستينيات البداية الحقيقية لذوبان جليد الحرب الباردة، أو ما أسماه الرئيس الأمريكي جون كيندي "بدء تحول التيار". فخلالها شرعت القوتان في خطوات جادة ولموسة نحو التحكم في سباق التسلح النووي، وفي فتح مجالات لعلاقاتهما الثنائية، بل ربما التوصل إلى تفاهم ضمني أن لا تؤثر



ارتباطاتهما وتحالفاتهما في المناطق الإقليمية على مجرى العلاقات الجديد. وهكذا رأينا التوصل في عام 1963 إلى اتفاقية مهمة وهي اتفاقية الحظر الجزئي للتجارب النووية، وسجلت بذلك أول خطواتها الجادة في مجال نزع السلاح، كما قررت الولايات المتحدة الأمريكية بيع القمح الأمريكي للاتحاد السوفيتي، وأنشئ الخط الساخن Hot Line لمواجهة اللحظات الحرجة في علاقاتهما. وعلى الرغم مما ثار خلال هذه الحقبة من أزمات إقليمية ترتبط بها القوتان في فيتنام والشرق الأوسط، إلا أنها لم تحل دون مواصلة ما بدأه بمعاهدة الحظر الجزئي، والتوصل إلى اتفاقية أكثر دلالة، وهي اتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية عام 1968. غير أن هذا التطور الإيجابي لم يحدث من فراغ؛ وإنما كان نتيجة تجربة صعبة مرت بها القوتان وهي أزمة الصواريخ الكوبية عام 1962، وهي الأزمة التي كادت أن تتحول بها الحرب الباردة إلى حرب ساخنة، ونقلت بها معنى الحرب والمواجهة النووية من مستوى التصور الذهني المجرد إلى الواقع والإمكانية الملموسة. ولم يقتصر تأثير هذه التجربة الحية على ما دفعت إليه من خطوات ملموسة بل فيما غيرته من التصورات والافتراضات الذهنية عن بعضها البعض. ومع نهاية الستينيات حقق الاتحاد السوفيتي ما عده إنجازاً تاريخياً بالتوصل إلى حالة التعادل Parity مع الولايات المتحدة الأمريكية في مجال الأسلحة الإستراتيجية، وهو التطور الذي سمح بإمكان بدء محادثات الحد من الأسلحة الإستراتيجية، والتي ظل الاتحاد السوفيتي متردداً في دخولها حتى يتمكن من تحقيق هذا التقدم. وعلى الرغم من أن الاتفاق على بدء هذه المحادثات كان قد تم خلال إدارة الرئيس الأمريكي جونسون، على أن يقوم بزيارة إلى الاتحاد السوفيتي في اب 1968، إلا أن هذا الترتيب تراجع أمام حدث التدخل السوفيتي في تشيكوسلوفاكيا في 3 اب 1968، وتوقفت بسببه الترتيبات الخاصة ببدء محادثات SALT وكذلك زيارة الرئيس الأمريكي جونسون لموسكو. غير أن مجرى العلاقة الذي بدأ في أعقاب أزمة الصواريخ الكوبية ودروسها، لم يتوقف نهائياً خاصة مع مجيء إدارة جديدة في الولايات المتحدة برئاسة ريتشارد نيكسون، الذي اختار هنري كيسنجر



مستشاراً للأمن القومي، وهو شخصية برزت أحد خبراء الإستراتيجية والتسلح النووي. غير أن ما كان حاسماً في هذه المرحلة هو الظروف الأمريكية والدولية التي رأتها الإدارة الأمريكية الجديدة حين جاءت إلى الحكم في يناير عام 1970، وتقييمها لكيفية التعامل مع هذه الظروف. في هذا الوقت كانت الولايات المتحدة الأمريكية تودع الستينيات التي لم تكن خلالها أقوى دولة في العالم فحسب، وإنما كذلك أكثر جاذبية، إذ كان لها التفوق على القوى العظمى الأخرى في الأسلحة الإستراتيجية، كما قادت حلفاءها بمهارة في أزمات مثل برلين. وعلى المستويين الاقتصادي والإنتاجي، كانت تنتج، تقريباً، نصف ثروة العالم، كما كانت معاملها ومختبراتها أكبر مكان للاكتشافات العلمية، وتتقدم العالم في مجال التعليم العالي، وعلى الرغم من تزايد الصراعات العنصرية في مجتمعها، إلا أنها أظهرت مرونة في تناول هذه الصراعات. غير أنه مع انتهاء هذه الحقبة ومقبل السبعينيات، بدأت هذه الصورة تهتز، وتفقد عناصرها المؤثرة، حقيقة أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت، ما تزال، أقوى قوة تكنولوجية، إلا أن مجتمعها فقد جاذبيته، ولم يعد حلفاؤها، الذين نموا اقتصادياً، يتبعون قيادتها تلقائياً في كل مجال كما كان الحال من قبل، بل أن قيادتها السياسية لهم أصبحت موضع شك. وأكبر من ذلك أن الخصم، وهو الاتحاد السوفيتي، بدأ يمتلك ترسانة من الأسلحة النووية، والصواريخ طويلة المدى والغواصات. ومن ناحية أخرى ظهرت اليابان على السطح الدولية الثالثة في العالم اقتصادياً، بل وتبشر أن تصبح الثانية مع نهاية القرن، كذلك برز العالم الثالث قوة سياسية. أضف إلى كل هذا، التورط في فيتنام حيث كانت أول هزيمة للعسكرية الأمريكية، وأحدثت اهتزازاً في قيم المجتمع الأمريكي وتماسكه. كل هذا خلق حالة من عدم التأكد، بل والإحباط والشكوك حول طبيعة القوة التي تمثلها الولايات المتحدة في عالمها، والتساؤل عما إذا كانت الاستراتيجية الأمريكية في التعامل مع العالم وصياغته وفقاً للمفهوم الأمريكي قد سارت بشكل خاطئ. كانت هذه هي المرأة التي رأى فيها نيكسون صورة بلاده، وهو يتسلم الحكم في نهاية الستينيات وورث بها أمة



دراسات وبحوث

غير متأكدة من طريقها سواء في الداخل أو الخارج. من هنا أدرك نيكسون الحاجة إلى تقييم جديد للسياسة الأمريكية، والذي أسماه "الأصوات الخفيضة"، والمرونة الجديدة، ونقل التركيز إلى الجوانب العملية، وضرورة إنهاء حرب فيتنام، وأهم من هذا تحديده لإطار سياسة خارجية تعتمد على المفاوضة بدلاً من المواجهة. وإذا كانت هذه التغيرات الموضوعية التي جرت على الجانب الأمريكي مع نهاية حقبة الستينيات وبداية السبعينيات سمحت بتغيير في إطار التفكير حول إدارة الشؤون الدولية عامة والعلاقة مع القوة العظمى الأخرى خاصة، فإن عناصر التغيير على الجانب السوفيتي والحاجة إلى سياسات جديدة تبتعد عن المواجهة لم تكن خافية. حقيقة أن القيادة السوفيتية حققت تعادلاً في الميزان الاستراتيجي أعطاهها قدراً من الثقة والاطمئنان فيما يتعلق بنظام الأمن، إلا أن السياسة السوفيتية عبر مراحلها المختلفة كانت تحكمها الاعتبارات الداخلية. ففي الوقت الذي استطاعت قطاعات الإنتاج في الدفاع والتكنولوجيا العسكرية أن تقف موقف المنافس مع الولايات المتحدة، أصبح واضحاً بشكل متزايد، أن الاتحاد السوفيتي يواجه صعاباً لا يمكن تجاهلها فيما يتعلق بمدى ملائمة القطاعات المدنية في نظامها الاقتصادي للثورة الصناعية والعلمية للعصر. أضف إلى هذا أن الإصلاحات الاقتصادية التي أدخلت عام 1965 لزيادة الإنتاج وتسهيل إنتاج تكنولوجيا جديدة في القطاع المدني لم تحل الصعاب الاقتصادية السوفيتية، لذلك ظهر شبه إجماع داخل القيادة السوفيتية أن نتائج غير مرغوب فيها في الداخل يمكن أن تترتب على منافسة طويلة في مجال سباق التسلح بوجه خاص. وهكذا توفرت مفارقة من ثلاثة وجوه: بروز الاتحاد السوفيتي قوة عسكرية عالمية، وأن هذه القوة لم يكن لها مغزى سياسي طالما أن كل قوة في مقدورها الانتقام من الأخرى إذا هاجمتها، أما الوجه الثالث فهو أن هذه القوة العسكرية لم يكن يوازيها تقدم في الداخل. وهكذا كانت هذه التطورات في الواقع الداخلي والدولي للقوتين مع بداية السبعينيات وراء المرحلة النوعية الجديدة، والتي شهدت اتصالات ومضموناً جديداً للحوار بينهما في مؤتمرات قمة، كان جوهرها



دراسات ومباحث

هو ترشيد سباق التسلح بينهما، وخاصة في المجال الاستراتيجي، وهو ما وضعت قمة موسكو الأولى في ايار-حزيران 1972 أساسه بتوصلها إلى اتفاقيات الحد من الأسلحة الاستراتيجية التي عرفت بـ (Salt-1) (انظر ملحق نص (معاهدة سولت 1) ولم تكن أهمية هذه الاتفاقيات أنها الأولى من نوعها فحسب؛ وإنما لأنها كانت تشكل أساس القوة العسكرية لكلتا القوتين، ومكانتهما بوصفهما قوى عظمى، وأهم من هذا المبادئ التي ارتكزت عليها وهي التعادل Parity، والأمن المتساوي Equal Security. فيه إلى هذا الإنجاز الذي حققته قمة موسكو الأولى في مجال الاهتمام الرئيسي، توصلت إلى وضع مبادئ تهتدي بهما القوتان في إدارة علاقاتهما الدولية. هذا فضلاً عن التوصل إلى مجال واسع من الاتفاقات في العلاقات الثنائية في وجوها المختلفة، بلغت من العدد والتنوع ما قيل معه أنها فاقت ما تحقق في علاقات البلدين منذ تأسيس علاقاتهما الدبلوماسية عام 1933. قد واصلت مؤتمرات القمة الثلاثة التالية: واشنطن، موسكو، وفلاديفوستك هذا الاهتمام المشترك في محاولة إضافة مضمون جديد لعلاقاتهما سواء في مجال الحد من التسلح، أم في مجال العلاقات الثنائية. هكذا كانت المراحل السابقة التي شهدت محاولات القوتين منذ الخمسينيات بناء علاقات إيجابية بينهما تتجاوز توترات الحرب الباردة وتنافسها وتتحكم فيها، وأن هذه المحاولات في كل منها كانت مدفوعة، ونتيجة لتغيرات موضوعية، لم يكن في الإمكان تجاهلها في واقع القوتين.



كتاب : قصص لا ترونها هوليوود مطلقاً

د. حمد العيسى / كاتب ومترجم سعودي

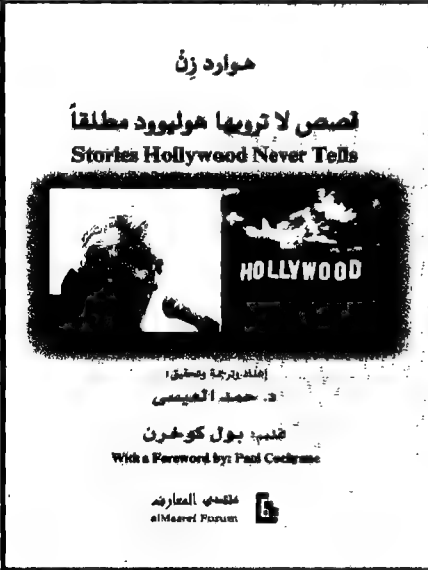
يسعدني نشر بعض المقاطع المختارة من الفصل الثالث من كتابي المترجم الذي صدر مؤخرًا بنفس عنوان هذا الفصل: «قصص لا تنتجها هوليوود مطلقاً» (منتدى المعارف، بيروت، 192 ص).

والكتاب من تأليف المؤرخ الأمريكي هوارد زن، وتكمن رسالة الكتاب في مقاومة فكرة الحرب، لأنها تؤدي حتماً لقتل المدنيين الأبرياء كما يثبت المؤلف بالأدلة التاريخية.

ويتكون الكتاب من سبعة فصول كالتالي: المبدعون في أوقات الحرب، عن إيما غولدمان، قصص لا ترونها هوليوود مطلقاً، النشرات في أمريكا، واجب التعبير أو دور الفنان في تغيير المجتمع، تغيير عقلية أوباما، تقهقر الإمبراطورية الأمريكية.

وكتب تقديم الكتاب الصحافي البريطاني المقيم في بيروت بول كوخرن. وهذا الفصل في الأساس هو نسخة منقحة من خطبة ألقاها زن

في مهرجان تاوس للفيلم، تاوس، ولاية نيومكسيكو، في 17 نيسان/أبريل 1999. (المترجم).





قرأت لك:



* هوارد زن: سيرة موجزة

هوارد زن (1922 - 2010)، مؤرخ وناقد اجتماعي/سياسي أمريكي. أصدر أكثر من 45 كتاباً. ولد زن عام 1922، في حي بروكلين في مدينة نيويورك، لأبوين مهاجرين يهوديين من الطبقة الكادحة. عمل في شبابه في حوض لإصلاح السفن، ثم شارك في الحرب العالمية الثانية كقائد قنابل من الطائرات. شكلت مشاركته في الحرب بداية وعيه السياسي الذي عُرف به في ما بعد ليصبح مناهضاً لفكرة الحرب. حصل على الدكتوراه في التاريخ من جامعة كولومبيا المرموقة عام 1958، مع تخصص فرعي في العلوم السياسية.

أصدر عام 1980، كتابه الكلاسيكي غير المسبوق «تاريخ شعبي للولايات المتحدة: 1492 - الآن»، والذي روى فيه تاريخ أمريكا - لأول مرة - من وجهة نظر المحرومين والمستضعفين. نجح الكتاب الضخم -الذي يقع في 768 صفحة- نجاحاً ساحقاً، وأصبح من أكثر الكتب مبيعاً.

وقال ملحق مراجعة الكتب الشهير في جريدة «نيويورك تايمز» عن الكتاب: «المؤرخون سيعتبرونه -بحق- خطوة في اتجاه نسخة معذلة ومتماسكة من التاريخ الأمريكي». أعيد طبع الكتاب مرات عديدة، وفي ربيع عام 2003، أقيم احتفال خاص بمناسبة بيع النسخة الرقم مليون منه. ولحسن الحظ فقد صدر هذا الكتاب الهام بالعربية من ترجمة الأستاذ شعبان مكاوي عن المجلس الأعلى للثقافة بمصر عام 2005 بعنوان «التاريخ الشعبي للولايات المتحدة» (الكتاب الرقم 736). توفي زن في يناير 2010.





قرأت لك:

* قصص لا ترويهها هوليوود مطلقاً:

عندما بدأت قراءة التاريخ ودراسة التاريخ وتدريس التاريخ وكتابة التاريخ، كنت دائماً أقع على حوادث وأحداث وأناس يجعلونني أهتف: «واو يا لها من قصة تصلح موضوعاً لفيلم عظيم». وعلى الرغم من أن السينما تقدم أحياناً قصصاً بغیضة، إلا أنني كنت دائماً أحب الأفلام.

وعندما كنت أقرأ عن أشياء في التاريخ أفكر أيضاً إذا ما كانت قد تحولت إلى فيلم سينمائي؟ ولكن الحالة لم تكن كذلك أبداً. لقد استغرق الأمر بالنسبة إلي فترة معتبرة لكي أدرك أن هوليوود لن تنتج أفلاماً مثل التي كنت أفكر فيها. أي أن هوليوود لن تنتج أفلاماً تؤثر في الناس لكي يكون عندهم وعي حقيقي أكثر عن طبقتهم الاجتماعية، أو لكي يكونوا مضادين لفكرة الحرب بصورة أكثر، أو أكثر وعياً بالحاجة إلى المساواة الجندرية أو العرقية.

لقد تساءلت عن سبب هذا الأمر؟ لقد بدا الأمر لي بأنه ليس مجرد صدفة بحيث يمكنك أن تقول إنه مجرد غلطة غير مقصودة من جانب هوليوود مثل عدم إنتاج فيلم عن مذبحه «لودلو» في ولاية كولورادو.

مجرد مصادفة، مثل المصادفات التي تسمع عنها عندما تشاهد التلفزيون كما فعلت هذا الصباح. لقد كانوا يشرحون حادثاً عرضياً عندما قصفت قوات النيتو طابوراً من اللاجئين من كوسوفو. هذه الأشياء دائماً تعتبر حوادث عارضة أو مصادفات. ولكن الآن قد تتساءلون: «هذا ليس متعمداً فعلياً، إنهم لم يقصدوا حقاً قتل هؤلاء!!». ولكن هذه الأمور من النادر أن تكون حوادث عارضة أو مصادفات.

أقصد أن العاملين في هوليوود لم يجتمعوا كلهم في غرفة واحدة ليقرروا: «نحن لن نتج هذا النوع من الأفلام أو ذلك النوع». وكذلك لا أحد في مركز قيادة النيتو أو في الحكومة الأمريكية اجتمعوا معاً وقالوا: «سوف نقصف المدنيين». لا يجب عليهم فعل ذلك ومع ذلك فإنه ليس حادثاً عرضياً أو مصادفة!



قدراتك:

استعمل أحد المفكرين ذات مرة تعبيراً ليصف الأحداث التي ليست مصادفة أو متعمدة ولكنها تقع في المنتصف بينهما، لقد أطلق عليها «الانتقاء الطبيعي للحوادث»، بمعنى أنه إذا كان هناك ترتيب محدد لوضع ما، فإن هذه الأشياء سوف تحدث حتماً سواء بالتخطيط أو من دونه.

إن ترتيب الحرب مبني بصورة تجعل من الحتمي قتل أناس أبرياء. لقد سمعت الرئيس كلينتون يقول: «في الواقع، نحن لم نقصد هذا الشيء، ولكن الإصابات المدنية حتمية عندما تشن الحرب». لقد كان مصيباً تماماً، ما يقودك إلى استنتاجين: إما أن تقبل بالضحايا المدنيين، أو أن تلغي فكرة الحرب. وبالبطبع كما تعلمون، الخيار الثاني لا يمكن التفكير فيه.

يبدو أن ترتيب الحرب هو كذلك، وترتيب هوليوود هو كذلك أيضاً، أي أنها لن تنتج تلك الأفلام التي تخيلتها عندما بدأت بقراءة وكتابة التاريخ.

هناك ترتيب هوليوودي يمكن وصفه كالتالي: «بناءً على الحاجة لكسب الكثير من الأرباح»، أي ترتيب تكون فيه الأرباح هي الاعتبار الأول قبل الفن وقبل الجمال والقيم الإنسانية. عندما دعيت إلى هذا المهرجان الخاص بالأفلام، تأملت: «حسناً، هذه هي فرصتي ها هم صانعو الأفلام، سوف أخبرهم عن القصص التي طالما تمنيت أن أراها في فيلم ولذلك سينصتون إلي وسيطلقون مباشرة لإنتاج تلك الأفلام» (إن هدفي هو أن يتم إنتاج أفلام تستطيع أن تجعل فكرة الحرب مرفوضة ومقرفة للناس).

عندما تتأملون في الأفلام التي أنتجتها هوليوود عن الحرب -وهناك مئات ومئات منها وربما آلاف- فسوف تجدونها دائماً أفلاماً تمجد البطولة العسكرية.

هناك استثناءات قليلة يمكن عدها على أصابع اليدين، ولكن في الغالب نجد أفلاماً تتحدث عن محاربين أبطال أو بطولة عسكرية فذة، أي أنها أنواع من الأفلام لا يمكنها أن تقنع الجمهور الشاب بأنه لا يجب عليهم تقبل فكرة الحرب وبالتالي عدم المشاركة فيها. لقد بدأت أفكر بكتابة قصص عن بعض الحروب من وجهة نظر مختلفة، وعندما تنظر إلى الحرب من وجهة نظر مختلفة سوف تستنتج كل أنواع الاحتمالات.



دعونا نأخذ واحدة من أفضل حروبنا: الحرب الثورية الأمريكية، أي حرب الاستقلال الأمريكية. ولكن كيف يمكن أن أتحدث ضد حرب الاستقلال الأمريكية، أليس كذلك؟!

لكي نكتب قصة الثورة ليس من وجهة نظر الآباء المؤسسين، ولكن من وجهة النظر التي تقول إن الحرب ظاهرة معقدة متداخلة مع قضايا أخلاقية، يجب أن نرى أن الأمريكيين كانوا مظلومين من المحتلين البريطانيين، ويجب أيضاً أن نرى أن بعض الأمريكيين كانوا مظلومين من بعض الأمريكيين الآخرين.

الحرب الثورية الأمريكية لم تكن بسيطة؛ فعلى سبيل المثال: «الأمريكان الهنود لم يندفعوا للابتهاج بانتصار المستعمرين البيض على إنكلترا، لأن ذلك النصر بالنسبة إليهم كان يعني أن الخط الذي وضعته بريطانيا لمنع التوسع نحو الغرب الأمريكي في إعلان عام 1763، سوف يلغى. المستعمرون الأمريكيون سيجدون الحرية للزحف نحو الغرب حيث الأراضي الهندية. الهنود الأمريكيون لم يحتفلوا بنجاح الثورة الأمريكية، وأيضاً العبيد السود لم يحتفلوا بنجاح الثورة الأمريكية».

ونستطيع أن نصنف الناس في أمريكا بعد الثورة الأمريكية كالتالي: ثلث المستعمرين ساندوا الثورة الأمريكية، والثلث الثاني عارضوها، والثلث الأخير كانوا محايدين. لقد كان هذا تقدير جون آدمز، الذي يعتبر أحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة الأمريكية وأحد قادة الثورة الأمريكية.

لقد اعتقدت أنه من المفيد أن نروي في فيلم قصة الثورة الأمريكية من وجهة نظر عامل أمريكي عادي وفقير سمع إعلان الاستقلال، حينما تم إعلانه من شرفة في بوسطن، وكان ذلك الإعلان يعد بالعدل والمساواة. الخ، ثم يعلم بعد ذلك بسرعة أن الأغنياء يمكن أن يعفوا من الخدمة العسكرية إذا دفعوا بضع مئات من الدولارات.

هذا العامل العادي ينظم بعد ذلك للجيش لأنه تم وعده بقطعة أرض مجانية على الرغم من تشككه وريبته، وعلى الرغم من مشاعره الخاصة بأنه مظلوم،



قراءات لك:

وشعوره بالظلم ليس من البريطانيين فحسب، ولكن من قادة المستعمرات الأمريكية التي يجد صعوبة في توفير لقمة العيش فيها. ولكن بينما تستمر الحرب، يشاهد القتل، ويتر وتشويه الأجسام، ويصبح بصورة متزايدة مستاءً وناقماً وساخطاً.

لا يوجد مكان في المجتمع حيث يكون تقسيم الطبقات واضحاً مثل الجيش، ويشاهد بنفسه ضباط الجيش الثوري وهم يعيشون بطريقة باذخة، بينما المجندين العاديين بالكاد يجدون ما يناسبهم من الملابس والأحذية وتتأخر رواتبهم، ولا يجدون ما يسد رمقهم سوى حساء أشبه بالوحل، ولذلك ينظم إلى المتمردين.

في الحرب الثورية كان هناك متمردون ضد جيش واشنطن: تمرّد خط ولاية بنسلفانيا، وتمرّد خط ولاية نيو جيرسي.

أعتقد من الجميل والمفيد أن نروي قصة عامل ينضم للجيش الثوري ويقاتل في معارك ثم يجرّح، ولكن بعدها ينضم إلى خط بنسلفانيا وبالتالي يتمرّد معهم. ويزحفون إلى مؤتمر فيلادلفيا، ولكن في النهاية يحاصرهم جيش واشنطن ويضطر العديد من رفاقهم لإطلاق النار على المتمردين. ثم يقوم هذا الجندي الغاضب مما رأى بالخروج من الجيش ويحصل على أرض في غرب ولاية ماساتشوستس، وبعد نهاية الحرب يصبح متمرّداً.

هناك انتفاضة وقعت غرب ولاية ماساتشوستس سميت بـ«انتفاضة شايز»، حيث قام مزارعون صغار بقيادة ضابط سابق بالتمرّد ضد الرجال الأغنياء الذي يسيطرون على المجلس التشريعي للولاية، ويفرضون ضرائب عالية عليهم، ويأخذون الأرض والمزرعة من العائلة التي تتأخّر في تسديد الديون.

انتفاضة شايز، كانت تمرّداً شعبياً لمحاربين قدامى من الحرب الثورية، إضافة إلى مزارعين آخرين يحيطون بالمحاكم ويرفضون أن يدخل منظمو المزاردين ستباع مزارعهم في المزاد العلني. وعندما يتم دعوة الميليشيات لتفريقهم، تأتي الميليشيات وتنضم إليهم، وفي النهاية يظهر جيش مرتزق يموله أغنياء بوسطن ويقضي على ثورة شايز.



قراءات لك:

الحروب يمكن وصفها بطريقة تعقد السيناريو البسيط «الخير ضد الشر»، الذي يقدم لنا في كتب التاريخ وفي ثقافتنا. الحروب ليست ببساطة هجوم شعب ضد آخر، بل دائماً تتضمن اختلافات طبقية داخل كل طرف حيث النصر دائماً لا يتشارك فيه الجميع ولكن القلة فحسب. كما إن الناس التي تقاتل في الحروب ليست هي الناس التي تنتفع من الحروب.

الفصل الثاني :

واعتقد أنه على شخص ما أن ينتج فيلماً عن الحرب المكسيكية. أنا لم أشاهد أي شيء عنها يوضح كيف بدأت تلك الحرب أو كيف خدع الرئيس الأمريكي الشعب الأمريكي؟ أعرف أنه من العجيب أن تسمعوا أن الرئيس الأمريكي يخدع عمداً شعب الولايات المتحدة، ولكن تلك كانت هي الحقيقة حيث قال فيها الرئيس جيمس بولك للشعب الأمريكي إن الجيش المكسيكي أطلق النار علينا داخل التراب الأمريكي.

ولكن في الحقيقة لم يكن ذلك على التراب الأمريكي بل كان على أرض متنازع عليها من قبل المكسيك وأمريكا. وخلال تلك الحادثة قتل بعض الناس، ومن ثم... «يووم» أصبحنا في حرب، أقصد في حرب خطط لها سلفاً من قبل إدارة بولك، لأنهم كانوا يرغبون في ضم تلك القطعة الجميلة من الأرض في الجنوب الغربي.

أعتقد أنه من الجميل والمفيد أن نروي تلك القصة مجدداً من وجهة نظر جندي عادي في الحرب المكسيكية حيث يرى القتلى والمشوهين والدماء، بينما يشق الجيش الأمريكي طريقه نحو المكسيك مدمراً ما يجد في طريقه مدينة إثر مدينة.

مثل هذه القصة سوف تشرح وتصف كيف يزيد سحق هؤلاء الجنود من الحرب تدريجياً، وأنه بينما يقومون بالزحف النهائي نحو العاصمة مكسيكو سيتي بقيادة الجنرال سكوت، يستيقظ هذا الجنرال في الصباح ليجد أن نصف



قارات لك:

جنوده قد فروا من الجيش. سيكون من المثير والرائع أن نروي هذه القصة من طرف أحد متطوعي ولاية ماساتشوسيتس الذي يعود في نهاية الحرب ويحصل على دعوة للاحتفال بالنصر في تلك الحرب التي احتلت فيها الولايات المتحدة نصف المكسيك.

وفي الوقت الذي يتم فيه تكريم قائد متطوعي ماساتشوسيتس على المسرح، يحاول أن يتكلم وهو على المنصة ولكنه يُستقبل باستهجان وازدراء من النصف الباقي من بقية متطوعي ماساتشوسيتس الذين ما يزالون أحياء، والذين يفكرون في ما حدث لرفاقهم في تلك الحرب والذين ينظرون حولهم ثم يتساءلون: لماذا كانوا يقاتلون في تلك الحرب؟ ينبغي أن أقول لكم.. لقد حدث هذا بالفعل.

تلك القصة تشمل أيضا مشهداً يزحف فيه الجيش الأمريكي ليسيّط على مقاطعة سلبت من المكسيك. القوات الزاحفة تتوجه نحو شمال المكسيك أي ما نسميه الآن بـ «ولاية نيومكسيكو». إنهم يدخلون سانتافييه، حيث ينبغي عليهم أن يفرضوا تمرداً لأنه في الغالب المكسيكيون هم من يعيش هناك وحكومة الولايات المتحدة تسيطر على تلك المنطقة.

الجيش يزحف خلال شوارع سانتافييه بعد النصر العسكري. جميع سكان سانتافييه، يدخلون بيوتهم ويقفلون أبوابهم ونوافذهم ولذلك يواجه الجيش مقاومة صامتة وهي تعبير عما يشعر به السكان عن هذا النصر الأمريكي العظيم!

هناك شيء صغير يتعلق بالحرب المكسيكية قد يجعل من الفيلم أكثر إثارة، وهو قصة بعض الفارين من الجيش. الكثير من الناس الذين تطوعوا في الحرب المكسيكية فعلوا ذلك للسبب نفسه الذي من أجله يتطوع الناس الفقراء وأعضاء الطبقة العاملة للجيش اليوم. إن السبب ليس لأنهم مقتنعون بفكرة الحرب، بل لأنهم يائسون وفقراء فحسب، ويتمنون أن يحصلوا على بعض المال إذا انضموا للجيش.

خلال الحرب المكسيكية، كان بعض هؤلاء المتطوعين من المهاجرين الجدد



وأكثرهم من أيرلندا. العديد من هؤلاء الجنود الأيرلنديين عندما شاهدوا ما وقع على سكان المكسيك فروا وانضموا إلى الجانب المكسيكي.

أنا لا أعرف بالضبط عددهم ولكن هذا حدث بالفعل وربما يعرف سكان نيومكسيكو الكثير عن هذا الأمر. لقد شكلوا كتيبة خاصة بهم وقاتلوا مع المكسيكيين وأطلق عليهم كتيبة سانت باتريك (التي أصبحت في ما بعد سانت باتريسيو)، وكان هذا حدثاً مدهشاً في الحرب المكسيكية.

لقد تذكرت هذا الحدث عندما كنت أفكر في الحرب في الفلبين، مباشرة بعد الحرب الأمريكية-الإسبانية. ليس من السهل أن نجعل الحرب الأمريكية-الإسبانية حدثاً نبيلاً، على الرغم من أن هوليوود بالفعل تستطيع أن تفعل أي شيء، ولكن لا أعتقد أنها حصلت على اهتمام في فيلم.

في الكتب الجامعية والفصول الدراسية للتاريخ، يطلق على الحرب الأمريكية-الإسبانية «الحرب الصغيرة الرائعة». لقد استمرت 3 شهور وكانت انتصاراً سريعاً على الإسبانين. لقد قمنا بها لتحرير الكوبيين لأننا دائماً نخوض الحروب لتحرير أناس آخرين. لقد طردنا الإسبانين من كوبا ولكننا لم نخرج من كوبا. ومن الناحية العملية الولايات المتحدة سيطرت على كوبا من تلك النقطة فصاعداً. أحد الأشياء التي نأخذها ضد فيديل كاسترو، أنه أنهى سيطرة الولايات المتحدة الطويلة على كوبا.

وعلى الرغم من أن الثورة الكوبية معقدة، إلا أنني أعتقد أنه من العدل أن نقول إنها إحدى المآخذ التي تأخذها الولايات المتحدة ضد كاسترو. أنا لا أصدق أن مآخذ الولايات المتحدة ضد كاسترو هو أنه ببساطة ديكتاتور لأننا كنا دائماً نؤيد المستبدين، أليس كذلك؟!

الحرب الأمريكية-الإسبانية تحصل على بعض الانتباه بسبب بطولة الرئيس ثيودور روزفلت، وسلاح الفرسان.. الخ. أتذكر أنني قرأت شيئاً عنها في المدرسة ولكنهم لم يخبرونا بأي شيء عن الحرب في الفلبين. لقد تعلمنا شيئاً هو أنه نتيجة تلك الحرب استعمرنا الفلبين لكنني لم أعرف التفاصيل مطلقاً.



قرأت لك:

عندما نقرأ ونتعمق في الحرب الأمريكية-الإسبانية، نعلم أنها استمرت لثلاثة شهور ولكن حرب الفلبين استمرت لسنوات وسنوات وكانت وحشية وكانت عبارة عن قمع دموي لحركة الاستقلال الفلبيني.

وبطرق عديدة، إذا تأملت في الفظائع التي ارتكبتها الجيش الأمريكي في الجزر الفلبينية يمكن القول إنها كانت بمثابة تمهيدا لحرب فيتنام. الآن وكما سمعتم، فإن هذه القصة لا يتم الحديث عنها مطلقاً ربما لأنه لا يمكن نسبها إلى البطولة العسكرية أو إلى مجد الولايات المتحدة.

لقد كان هناك جنود أمريكيون سود في حرب الفلبين ولكنهم بسرعة اندمجوا مع الفلبينيين أكثر من رفاقهم الأمريكيان البيض. لقد كانوا واعين لحقيقة أنه بينما ينبغي عليهم قمع الفلبينيين، إلا أنهم كانوا يعلمون من الرسائل التي تصلهم من ذويهم من أمريكا عن شنق السود والانتفاضات العرقية التي تحدث في مدنهم. لقد سمعوا عن قتل عدد كبير من السود في أمريكا، ولكن هاهم الآن يقاتلون ضد أناس من غير البيض لمصلحة حكومة الولايات المتحدة. ولذلك فر الكثير من الجنود السود وانضموا إلى الفلبينيين.

وعندما أصبح من المفترض أن تنتهي الحرب في الفلبين في عام 1960، كان الجيش الأمريكي في الواقع ما يزال يحاول قمع جيوب المقاومة الفلبينية، حيث وقعت مذبحه. هذه هي الطريقة الوحيدة لوصف ما حدث.

«الموروز» هم مسلمون من سكان الجزر الجنوبية من الفلبين، وكان هناك قرية يسكنها 600 شخص (رجل وامرأة وطفل) وجميعهم غير مسلحين. هجم الجيش الأمريكي عليهم بصورة جماعية مفاجئة حتى أفناهم جميعاً.

الأديب الأمريكي مارك توين، كتب بغضب عن هذه الحادثة. لقد غضب بصورة خاصة لأن الرئيس الأمريكي ثيودور روزفلت، أرسل برقية تهنية للقائد الأمريكي الذي قاد هذه المجزرة ووصفها بالنصر الأمريكي العظيم.

مثل هذا الأمر تكرر مرة بعد أخرى: عندما يقوم الجيش الأمريكي بأعمال مقبحة يتم تهنئتهم بالانتصارات العظيمة. هل شاهدتم في حياتكم فيلماً سينمائياً



قرأت لك:



يصور ثيودور روزفلت كعنصري أو إمبريالي؟ أو سفاح مساند للمذابح؟ ولكن ستجدون وجهه منقوشاً على جبل المشاهير (أي جبل راشمور في ولاية ساوث داكوتا). ولذلك سنحتاج للكثير من الجهد لتغيير هذا، لقد راودتني فكرة لإزالة وجهه من الجبل - مطرقة / إزميل - ولكن كلا! لن نفي بالغرض.

ينبغي إظهار الحروب في الأفلام بطريقة مبتكرة لكي توجد جيلاً جديداً من الناس يستطيعون أن يقولوا «كلا» للحرب. نريد أن نشاهد مثل هذه الأفلام أكثر وأكثر.

نريد أن نشاهد أفلاماً عن أولئك الأمريكيان الأبطال الذين احتجوا ضد الحرب العالمية الأولى. لقد كان هناك اشتراكيون ومسالمون ("باسيفيست" Pacifist)، وبالطبع كان هنالك الكثير من الناس الذين يعلمون أن الحرب مجرد حماقة أدت إلى مقتل عشرة ملايين في أوروبا بينما كانت الولايات المتحدة الأمريكية تستعد لدخولها.

نحن نبحث عن أشخاص يمكنهم بالفعل أن يكونوا مثيرين ومذهلين كشخصيات في الأفلام. انظروا إلى بعض الناس الذين في ذلك الوقت الحساس خلال الحرب العالمية الأولى عارضوا تلك الحرب.

سوف تجدون المناضلة النسوية الفوضوية "إيما غولدمان" التي دخلت السجن لأنها عارضت تلك الحرب، وكانت ضد التجنيد الإجباري.

وستجدون أيضاً المناضلة الاشتراكية "هيلين كيلر"، والتي لم أشاهدها في أي فيلم مطلقاً باستثناء ذلك النوع من الأفلام الذي يركز على كونها معاقة. لم أشاهد مطلقاً أي فيلم عن هيلين كيلر يصورها كما كانت فعلياً: مناضلة، راديكالية، اشتراكية، وناشطة ضد الحرب.

لقد كانت إنسانة من ذلك النوع النبيل الذي يرفض حتى عبور خط الاحتجاج الموضوع ضد مسرحية تتحدث عنها. يا له من موضوع رائع لفيلم سينمائي. أستطيع الحديث كثيراً عن قصص وسيناريوهات عن الحروب. ماذا عن الحرب العالمية الثانية؟ مجدداً، إنها «حرب جيدة» بالطبع. أفضل الحروب.



قرأت لك:

ولكن الأمر ليس بتلك البساطة، وهذا هو السبب الذي جعل المؤرخ ستادس تيركيل -عندما كتب تاريخه الشفوي- يصفها بالحرب الجيدة ووضع علامات تنصيص حول «حرب جيدة» (للتشكيك) إذا كنتم قد لاحظتم.

في تلك الحرب، كان لدينا تعاطف إنساني، لقد كنا نقاتل شيطاناً فظيماً (الفاشية)؛ ولكن من ناحية أخرى، كان هناك حرب تميزها فضائنا نحن التي كانت تتضاعف حتى بلغت الذروة في هيروشيفا وناكازاكي. أنا لم أشاهد فيلماً يتعامل بعدل مع قصصنا لهيروشيفا. أفضل ما أنتجناه هو فيلم تعامل مع قصصنا للمدنيين مبني على كتاب كورت فونيغت «المسلخ رقم خمسة»، وكان ذلك أمراً نادراً وغريباً.

يجب أن أعترف أن هناك بالفعل عدداً محدوداً جداً من الأفلام المناهضة لفكرة الحرب وكانت عن الحرب العالمية الأولى.

على سبيل المثال هناك فيلم «كل شيء هادئ على الجبهة الغربية»، الذي يعتبر فيلماً رائعاً. لقد قارنت في مقالة لي مؤخراً بين هذا الفيلم والفيلم الحديث «إنقاذ الجندي رايان».

لقد كتبت أنه على الرغم من التشويه المتعمد، إلا أن فيلم «إنقاذ الجندي رايان» كان في جوهره يمجّد فكرة الحرب، في حين كان عنوان الفيلم الآخر واضحاً ومعادياً للحرب: «كل شيء هادئ على الجبهة الغربية».

الفصل الثالث :

نختتم اليوم نشر بعض المقاطع المختارة من الفصل الثالث من كتابي المترجم الذي صدر مؤخراً بنفس عنوان هذا الفصل: «قصص لا ترونها هوليوود مطلقاً» (منتدى المعارف، بيروت، 192 صفحة) وهو كتاب يتكون من سبعة فصول ومن تأليف المؤرخ الأمريكي هواردين. وهذا الفصل في الأساس هو نسخة منقحة من خطبة ألقاها زن في مهرجان تاوس للفيلم، تاوس، ولاية نيومكسيكو، في 17 نيسان/أبريل 1999 (المترجم).



قرأت لك:

لن تجدوا أفلاماً عن نضال عاملات النسيج: الفتيات اللاتي ذهبن للعمل في معامل النسيج في ماساتشوستس في لويل ولورنس منذ بدايات القرن التاسع عشر. هناك قصة رائعة عن فتيات لويل في ثلاثينيات القرن التاسع عشر اللاتي نظمن أنفسهن وأضربن.

لن تجدوا أفلاماً عن إنجازاتهن ولن تجدوا أفلاماً عن التاريخ الغني بنضالات العمال التي حدثت في الولايات المتحدة. وعلى أية حال، النظام الأمريكي العام الذي صنعه الدستور، والنظام السياسي الأمريكي، والدستور العظيم والشهير للولايات المتحدة، لم يمنح أي حقوق اقتصادية للشعب الأمريكي.

نحن دائماً ننسى أن الدستور يعطي حقوقاً سياسية ولا يعطي حقوقاً اقتصادية. وحتى تلك الحقوق السياسية تعتبر مقيدة بسبب عدم وجود حقوق اقتصادية. إذا لم تكن ثرياً فإن حقوقك السياسية تصبح محدودة حتى وإن كانت توجد على الورق في الدستور.

حرية التعبير موجودة في الدستور، ولكن مقدار حرية التعبير الذي تتمتع بها، يعتمد على ما تملكه من ثروة أو مال وغيرهما من الموارد. ولكن في ما يتعلق بالحقوق الاقتصادية، لا يوجد شيء مطلقاً في الدستور. هناك «إعلان الاستقلال»: الحق في الحياة، والحرية وتحقيق السعادة. ولكن كيف يمكن تحقيق هذه الغايات إذا لم تكن تملك الحق في الطعام والسكن والعلاج الطبي.

الطبقة العاملة خلال مسار التاريخ اضطرت إلى التنظيم والكفاح والإضراب والنضال وإعلان المقاطعة ومواجهة الجيش والشرطة والحرس الوطني. لقد كان يتوجب عليهم فعل ذلك بأنفسهم على الرغم من معارضة الحكومة وذلك حتى ينتصروا في تحقيق إنجاز مذهل وهو تحديد ساعات العمل بثمانى ساعات في اليوم، وذلك لتغيير ظروف عملهم الشاقة.

ولذلك، أقول إنه يجب إنتاج فيلم عظيم عن إضرابات عمال سكك الحديد عام 1877، أو عن حادثة سوق البرسيم عام 1866، والتي كانت أيضاً جزءاً من النضال لتحديد ساعات العمل بثمانى ساعات في اليوم. حادثة سوق البرسيم انتهت بإعدام ثمانية من الفوضويين ظلماً بعد أن اتهموا ظلماً



قرأت لك:

بزرع قنبلة بالرغم من عدم وجود دليل عن الفاعل الحقيقي. الأديب الساخر جورج برناردشو أرسل برقية إلى محكمة إيلينويز العليا جاء فيها: «إذا كانت ولاية إيلينويز تود التخلص من ثمانية أشخاص من مواطنيها، فمن الأفضل التخلص من أعضاء محكمة إيلينويز العليا الثمانية!»

وماذا عن قصة إضراب يوجين ديبس وإضراب عمال القطارات العظيم في عام 1894، والذي قاموا فيه بإعاقه جميع عمليات السكك الحديدية في الولايات المتحدة الأمريكية ونتج منه تحريك كل من الجيش والمحاكم ضدهم؟ شخصية ديبس تصلح لتكون موضوع فيلم رائع، ولكن لم يسبق لي مطلقاً أن شاهدت فيلماً كان هو فيه الشخصية المركزية.

لقد شاهدت أنواعاً عديدة من الأفلام من النوع التي يرثى لها ولكن لم أشاهد مطلقاً يوجين المذهل الذي يبدأ كمنظم لعمال السكك الحديدية ثم يدخل السجن ويخرج منه كمعارض ومنشق، نعم، السجن يفعل ذلك بالناس، ولذلك ينبغي على الحكومة أن تحذر من عدد الناس الذين ترسلهم إلى السجن.

هناك حالياً مليونان من الناس في السجن وإذا فعلوا جميعاً كما فعل ديبس، حسناً!!! عندما أطلق سراحه في النهاية بعد أن دخل السجن بسبب معارضته الحرب العالمية الأولى ليس من قبل الليبرالي وودرو ويلسون ولكن من قبل المحافظ وارن هاردينغ - ديبس ترك انطباعاً لدى زملائه المساجين لدرجة أن مأمور السجن فتح جميع الزنانات وأخرج جميع السجناء إلى الساحة لكي يودعوا ديبس؛ لقد صفقوا وهتفوا جميعاً عندما حصل على حريته.

كما إننا نحتاج إلى فيلم عن إضراب عام 1912 لعمال النسيج في لورنس ويا له من حدث مذهل. لكن كان مذهباً لأن الكثير من الإضرابات تخسر ولكن هذا الإضراب انتصر. لقد كان إضراباً لعمال متعددي الثقافات وكانوا يتحدثون 12 لغة مختلفة، ولكنهم اجتمعوا معاً، وتحذوا شركات النسيج والشرطة التي أرسلت إلى سكة الحديد لمنع أطفال العمال من المغادرة. الشرطة هاجمت النساء والأطفال في محطة القطار لأنهم لم يكونوا يريدون للأطفال المغادرة والأمن، لأن الشرطة كانت تريد تجويع المضربين وهو



قرأت لك:

ما قد يصبح أقل احتمالاً للحدوث إذا كان أطفالهم في أمان. ولكن المضربين صمدوا وساندتهم اتحاد العمال العالمي وانتصروا في النهاية. وخرجت أغنية «خبز وورد». لقد كان حدثاً مذهشاً ورائعاً.

هناك أيضاً مذبحه لودلو، التي حدثت خلال إضراب عمال الفحم في ولاية كولورادو في 1913-1914. لقد كان واحداً من أشد الإضرابات دموية ودراماتيكية في تاريخ أمريكا ضد أعمال روكفلر. ليس من السهل إنتاج فيلم عن أعمال روكفلر.

أحد أبرز زعماء ذلك الإضراب كانت مذر جونز (Mother Jones) (1837-1930) وهي امرأة كان عمرها 83 عاماً وكانت تعمل في تنظيم العمال في ولايتي ويسنت فرجينيا وبنسلفانيا. قادت مذر جونز الأطفال في زحف من بنسلفانيا إلى نيويورك لمواجهة الرئيس ثيودور روزفلت، لأن هؤلاء الأطفال كانوا يعملون في مصانع النسيج وأعمارهم تتراوح بين 11-12 عاماً.

لقد حصلت على موافقة أولياء أمور هؤلاء الأطفال وقادتهم في رحلة طويلة إلى نيويورك، حيث كان روزفلت يقضي عطلة الصيف.

لقد وقفوا أمام منزله وهم يرفعون لوحات كتب عليها «نريد وقتاً للعب». هل تم إنتاج فيلم عن مذر جونز؟ لقد كانت في 83 من العمر عندما قبض عليها الحرس الوطني في ولاية كولورادو وألقي بها في السجن، ومع هذا خرجت لتقود النساء في إضراب في مدينة ترينيداد في ولاية كولورادو.

ولكن بالطبع تم إنتاج أفلام سينمائية وثائقية جيدة، ولكن أنا أتحدث أيضاً عما لم تنتجه هوليوود. هناك أفلام وثائقية مذهشة خرجت في السنوات 10-15 الأخيرة. ولكن مثل هذه الأفلام يجب أن تتناضل بقوة لكي تجمع المال ومن تم تناضل وتناضل أكثر لكي يتم توزيعها لكي يشاهدها الناس.

هناك نجاحات هائلة في مجال هذه الأفلام مثل فيلم مايكل مور «روجر أند مي» (Roger and Me)، الذي شاهده عشرات الملايين، وهذا أمر مذهش.



قرأت لك:



ولذلك فإن الاحتمال موجود وربما يجب علينا أن نلعب مع النظام بطريقة مثل حرب العصابات لكي ننجح في إنتاج فيلم بصورة مخاتلة ويتم عرضه خارج مؤسسة هوليوود. قد ننجح أحياناً في دس فكرة معينة وتمريرها على نظام هوليوود في لحظة ننجح فيها على جعلهم ينسون من هم وماذا يعملون من أجله.

لقد شاهدنا أفلاماً عن كريستوفر كولومبس، ولكنني لا أذكر أي فيلم كشف صورة كولومبس الحقيقية، أي رجل تحكمه الأخلاق الرأسمالية المتوحشة. هل ستنجح هوليوود فيلماً عنه يهون من الأخلاق الرأسمالية في قتل الناس من أجل الذهب، وهذا ما كان يفعله كولومبس والإسبانيون؟

يمكن إنتاج فيلم عظيم وأحد الشخصيات المهمة فيه قد يكون الأسقف "بارتولوميه دو لاس كاساس" الذي فضح ما فعله كولومبس في مجلدات. "لاس كاساس"، كان شاهد عيان على ما كان يحدث، ويمكن أن يكون هناك مشهد في الفيلم عن النقاش العظيم الذي جرى أمام الهيئة الملكية الإسبانية في عام 1560 عن شرعية احتلال أراضي الهنود الحمر. ذلك النقاش العظيم كان بين "لاس كاساس" وسيبولفيدا، وهو راهب آخر جادل أن الهنود ليسوا بشراً، ولذلك يمكن صنع أي شيء بهم.

هناك أيضاً قصة إبعاد هنود الشيروكي قسراً من الجنوب الشرقي عبر «تريل أوف تيرز» (درب الدموع) بحسب أوامر رئيسنا البطل أندرو جاكسون. أنا لم أتعلم في المدرسة أن جاكسون كان عنصرياً وقاتلاً للهنود، وأنه أيضاً وقع على أمر طرد الأمريكيان الهنود من جنوب شرق الولايات المتحدة عبر الميسيسيبي. لقد كان ذلك تطهيراً عنصرياً بحجم ضخم: زحف الجيوش الأمريكية عبر القارة لطرد الهنود من أراضيهم وحشرهم في منطقة صغيرة في ولاية أوكلاهوما وهي ما تمت تسميتها لاحقاً بالمقاطعة الهندية. ولاحقاً عندما اكتشف النفط في تلك المقاطعة، تم غزو تلك المنطقة مجدداً وعندها لم يعد اسمها «المقاطعة الهندية» مطلقاً. هذا حقاً وبالفعل تطهير عرقي.

لا يوجد فيلم يعرض قصة «الشيروكي» الذين هُجروا في «تريل أوف تيرز»



قرأت لك:

(درب الدموع)، أي قصة 16,000 شخصاً هندياً أحمر نزحوا قسراً من بلادهم نحو غرب أمريكا ما أدى إلى مقتل أربعة آلاف خلال هذا النزوح، بينما كان الجيش الأمريكي يدفعهم بعنف والرؤساء الأمريكيان يثنون على ما كان يجري.

وبالطبع، هناك أيضاً قصة السود في الولايات المتحدة التي أصبحت متوافرة مؤخراً من وجهة نظر هؤلاء الناس السود. لدينا العديد من الأفلام عن حركة الحقوق المدنية حيث شاهدنا مقاطعة حافلات مونتغمري من وجهة نظر الممثلة البيضاء سيسلي سباسيك.

كما شاهدنا قصة قتل 3 نشطاء حقوقيين من العمال في ميسيسيبي في عام 1964، من وجهة نظر الـ إف بي آي، والذين كانوا أبطالاً لهذا الفيلم ولكن أي شخص كان في ميسيسيبي عام 1964، ومنهم أنا وزوجتي بكل تأكيد كنا نعرف أن الـ إف بي آي كانت هي العدو. الـ إف بي آي، كانت تشاهد الناس وهم يضربون بعنف ولكنها كانت صامتة وغائبة عندما احتاجها هؤلاء الناس لحمايتهم من القتل.

وفي هذا الفيلم الهوليوودي أصبحوا أبطالاً. نحن نريد أن نشاهد قصة حركة الحقوق المدنية كما يرويها الناس السود وقصة ما جرى في الميسيسيبي من وجهة نظر المناضلة الحقوقية السوداء فاني لو هامر.

أريد أن أقول شيئاً عن الحرب الأهلية. الحرب الأهلية هي مجدداً واحدة من «الحروب الجيدة»، حيث تم تحرير العبيد خلالها، ولكن الأمر ليس بتلك البساطة.

هناك عامل الطبقة بخصوص من تم تجنيدهم ومن لم يتم تجنيدهم، من ربحوا أمواً هائلة بسبب الحرب الأهلية ومن دفعوا مالا كبديل عن التجنيد، وما جرى للهنود.

أعتقد أن هناك الكثير من العمل التاريخي الذي يجب إنجازه والعديد من الأفلام التي ينبغي إنتاجها.



قرأت لك:

إذا تم إنتاج مثل هذه الأفلام عن الحرب ووصلت إلى الناس، وأيضاً أفلام عن تاريخ الكذب الحكومي والمعاهدات المنتهكة والعنف الرسمي. إذا تم إنتاج أفلام عن هذه الحكايات التاريخية، قد نحصد بالفعل جيلاً جديداً. كأستاذ وكاتب هذا ما يهمني.

أنا لست مهتماً في إنتاج كتب فحسب، كما إنني لست مهتماً بإعادة إنتاج فئة بعد فئة من الناس الذين يتعلمون ثم ينجحون في الحياة ليحصلوا على مواقع في المجتمع تعودهم على الطاعة العمياء للأخ الأكبر.

الشيء الواجب علينا كمبدعين، سواء كنا نكتب أو ننتج أفلاماً أو نخرج أفلاماً أو نعزف موسيقى أو نمثل أو مهما كان دورنا، يجب أن لا يكون «فقط» أن نجعل الناس يشعرون بالسعادة والإلهام، ولكن أيضاً أن نعلم جيلاً جديداً هذا الشيء نفسه: «تغيير العالم».

انتهى مقال د. حمد العيسى



دراسات

الفهرس

16	طفولته
22	رحلة الدراجة النارية
26	جواتيمالا في حكم أربيز
30	مدينة مكسيكو والاعداد
32	الثورة الكوبية
40	لاكابانا واصلاح الأراضي
48	الرجل الجديد وخليج الخنازير وازمة الصواريخ
56	الدبلوماسية الدولية
64	اختفاؤه
69	الكونغو
73	بوليفيا
77	اعتقال واعدام
80	مرحلة ما بعد تنفيذ الاعدام
86	التراث
89	أممية تشي وعلاقته بالماركسية
90	الرمز والاسطورة
91	أعماله الأدبية
94	أليدا جيفارا تتحدث عن زوجها
98	10 حقائق صادمة عن تشي جيفارا
109	مذكرات جيفارا في ذاكرة العالم



111	الثورة الكوبية ثورة قادها شعب ولم يقدها أشخاص
114	رثاؤه
127	من أروع ما قال تشي جيفارا
129	علامات استفهام
131	دراسات وبحوث
197	قرأت لك



ارنستو "تشي جيفارا" ثوري كوبي ماركسي ولد في الأرجنتين طبيب و قائد عسكري وشخصية رئيسية في الثورة الكوبية. أصبحت صورته المأخوذة منذ وفاته رمزاً في كل مكان وعلامة عالمية ضمن الثقافة الشعبية التي تدل على الثائر والثورة.

سافر جيفارا عندما كان طالباً في كلية الطب لجميع أنحاء أمريكا اللاتينية مع صديقه على متن دراجة، وكونت تلك الرحلة شخصيته وإحساسه بالظلم الكبير الواقع من الإمبرياليين على المزارع اللاتيني البسيط، وتغير داخلياً بعد مشاهدة الفقر المتفشي. كان جيفارا يرى أن الحل الوحيد لحل مشاكل الإنسان الفقير هو الثورة العالمية على الفقر والجهل والمستبدين. قرر جيفارا الانضمام للثورة الكوبية، ورأى فيدل كاسترو الثائر الكوبي أنه في أمس الحاجة إلى جيفارا كطبيب وسرعان ما برز دور جيفارا بين المسلحين حتى تمت ترقيته إلى الرجل الثاني في القيادة، ولعب دوراً محورياً في نجاح الثورة على مدار عامين من الحرب المسلحة التي اطاحت بنظام باتيستا. وقد تم اغتيال جيفارا على يد فرقة من الجيش البوليفي على يد جندي يدعى ماريو عندما كان يكافح ضد الظلم والجهل والفقر هناك وقد كان الجندي يعلم أنه بصدد إعدام أسطورة وكان في شدة الخوف على الرغم من أن جيفارا كان أعزل ومصاب، إلا أن جيفارا قال له: أطلق النار، لا تخف؛ إنك ببساطة ستقتل مجرد رجل، ومن أشهر مقولاته التي سُطرت بحروف من نور: "الثورة قوية كالفلواذ، حمراء كالجمر، باقية كالسنديان، عميقة كحبنا الوحشي للوطن.. إنني أحس على وجهي بألم كل صفة تُوجّه إلى مظلوم في هذه الدنيا، فأينما وجد الظلم فذاك هو وطني،" "لا يستطيع المرء أن يكون متأكداً من أنه هنالك شيء يعيش من أجله، إلا إذا كان مستعداً للموت في سبيله".

